الفصل الأول

نظام الحكم في الحبشة العصور الوسطى

1) سلطة الإمبراطور
2) تبعية الممالك الإسلامية لسلطة الإمبراطور
3) وراثة العرش (دور جبل أمبا جيشن في الحكم)
4) دور الأباطرة وقيادات الجيش ومجلس الأوصياء في اختيار ولي العهد
5) دور النساء في البلاط الملكي
6) دور المطران والكنيسة في الحكم
7) عودة العاصمة الثابتة على يد (زرء يعقوب)

النظام السياسي

يبدأ المدخل الطبيعي لدراسة تاريخ الحبشة في العصور الوسطى باستعراض أحوالها في أقصى مراحل قوتها وعظمتها، وليس معنى هذا أن تاريخ الحبشة في العصور الوسطى يبدأ بداية دقيقة من هذه المرحلة، وإنما نستهدف من هذا العرض أن يساعدنا على فهم الأسس والعوامل التي رسمت التاريخ الحبشي في العصور الوسطى.

- **نظام الحكم في الحبشة العصور الوسطى:-**

1- سلطة الإمبراطور

تمتع أباطرة الحبشة بنفوذ كبير في بلادهم، فقد كان الإمبراطور يمسك بكل خيوط السلطة في يده، فهو رأس الحكم ونظامه وصاحب الأمر والنهي في كل الأمور سواء التنفيذية أم القضائية أم الروحية، إذ يستند حكمه إلى حق إلهي ورثه بتسلسل عن (منليك الأول) طبقًا للأسطورة المعروفة[1]. ولهذا أصبح لقبه (الأسد الخارج من سبط يهوذا – المختار من الله)، كما كان القصر مصدرًا لجميع السلطات وفيه تتجمع كل سلطة[2] وهو المسؤول عن إدارة كل شؤون المملكة، وهو قائد الجيش في الحروب، وبمعنى آخر كان هو الحاكم الفعلي في البلاد. وقد اعتمد هؤلاء الأباطرة في حكمهم على جملة مأثورة هي "من أطاع فقد نجا ومن عصا فقد هلك"، وقد نفذ هؤلاء الأباطرة هذا المبدأ كلما أمكن لهم تحقيق ذلك، ولم يكن هذا إلا بناءً على قانون الملوك (Fetha Nagast) وهو يعني نظرية الحق المقدس[3] في الحكم. كما ذكر كتاب

---

[1] - سوف يتم الإشارة إلى هذه الأسطورة فى الجزء الثاني من هذا الكتاب.

2 - Trimingham: op. cit.pp. 65- 72.

3 - نظرية الحق المقدس أو التفويض الإلهي: اعتقد الأباطرة الأحباش أن حكمهم مستمد من الله سبحانه وتعالى، فهم يقولون بنظرية الحق المقدس في الحكم، وهي نظرية الفرس القديمة حينما اعتقدوا أن حكمهم مستمد من الله تعالى، ونتيجة احتكاك الفرس بالعديد من الشعوب بهم، انتشرت هذه النظرية في العديد من بقاع الأرض. ويتضح لنا

(كبرانجشت) أيضًا أنه "ليس من المستحب أن يلعن الملك فإنه مسيح الرب"[1]. كما أشار ابن العسال في القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي إلى هذه القواعد عندما كتب عن سيدنا موسى قوله: "أيها الحكيم سوف تجلس على كرسي الملوك لأن الله قد اختارك"، كما قيل في ذلك أيضًا: "من كان يقاوم هذه السلطة، فهو يقاوم مرسوم سلطة الله، ومن يقاوم يتقاضى لنفسه الإدانة"، وذلك لأنه خادم الله، لذا يجب أن يلتزم الجميع بأوامره[2].

وقد عاش الأحباش على ذلك منذ القدم، فشخص الإمبراطور له منزلته السامية التي لا يجوز انتهاكها، وسلطاته لا تقبل الجدل نظرًا لأنه من سلالة الزواج الذي تم بين (ماكيدا) و(سليمان)، فهو إذن من نسل الأنبياء، ففي شأن مجد الملوك عرفنا أن "ملك الحبشة يعظم، لأنه

من خلال النصوص والمصادر الحبشية نظرة الأباطرة الأحباش إلى روحية الحكم، فالإمبراطور يقول صراحة إن الملوكية تفويض من الله تعالى له، كما يذكر العديد من مؤرخي البلاط الملكي أن الله اختار الملك وميَّزه عن عباده، ومعنى ذلك أن الأحباش أسبغوا على حكمهم صبغة إلهية –دينية- روحية فالاختيار واقع من الله تعالى، فالأباطرة يحكمون الأحباش بتفويض من الله، وما على الناس إلا الطاعة والاحترام والتنفيذ. انظر:
- Perruchon: Les chroniques de Zar.a ya.eqobe et de Baeda Maryam, Rois d Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893,p.124.

1 - هذه الفكرة مأخوذة من سفر الجامعة 10:30، إذ يقول: لا تسب الملك حتى في فكرك ولا تسب الغني في مضجعك، فطير السماء ينقل الصوت وذو الجناح يخبر بالأمر. للمزيد انظر مجدي عبد الرازق سليمان، كبرانجشت (جلال الملوك)، النص الحبشي في تاريخ إثيوبيا القديم حتى ظهور المسيحية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 117. انظر أيضًا:

- Edward Ullendorff: Ethiopia and the Bible, London,1955,p.7-8.

2 -Peter L. Strauss: The Fetha Nagast, The Law of the Kings, translated from the Ge'ez by Abba Paulos Tzadua, Carolina Academic Press, Second Printing, USA, 2009, pp. 5-8 See also J.Vanderlinden, An Introduction to the Sources of Ethiopian Law From the 13th to the 20th Century, (J.O) Journal of Ethiopian Law, 277,1966,p.104.

ملك صهيون، وهو البكر من ذرية سام، ومقام الرب أيضًا في صهيون، وهناك يحطم قوة كل أعدائه وكارهيه"[1].

ولم يختلف جوهر نظام الحكم في الحبشة – خلال العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية - كثيرًا، فبرغم اختلاف العصور وتعاقبها إلا أن سلطة إمبراطور الحبشة لم تتأثر، فالإمبراطور دائمًا هو رأس الدولة وهو المسؤول عن إدارة كل شؤونها استنادًا إلى كونه ابن الإله الأكبر، وبالتالي فهو أيضًا الكاهن الأكبر والقاضي الأعظم، وهو قائد الجيش الذي يمثل أباه في قيادته للجنود، وعند البحث في أصل ملوك أكسوم تشير الروايات المتاحة إلى انتماء هؤلاء الملوك إلى أسرة ملكية واحدة، فضلًا عن كون كثير من الملوك من أبناء الملوك السابقين. علاوة على ذلك تشير بعض الأساطير إلى أحقية الابن الأكبر في وراثة عرش أبيه[2]، كما يشير البعض الآخر منها إلى تطلع الابن الأصغر في أحيان كثيرة إلى الاستيلاء على الحكم[3].

وبعد دخول الديانة المسيحية إلى البلاد، تعاظمت مكانة الملك بالنسبة للكنيسة، فأصبح الرئيس الأعلى لها والمهيمن على شؤونها. ومع رسوخ تعاليم الديانة المسيحية في نفوس الملوك أخذت النظرة إلى أسلوب الحكم تتغير شيئًا فشيئًا، فازداد الحديث عن الرحمة بالرعايا والأمل في الرخاء. وفي هذا الصدد يذكر بعض الباحثين أن الرجال

---

1 - هذه الفقرة مأخوذة من سفر يوحنا (24:21-25) وقد وجد العديد من الباحثين أوجه كثيرة للتشابه بين قانون الملوك الحبشي وبين القانون الروماني القديم وللمزيد، انظر مجدي عبد الرازق سليمان، كبرانجشت، ص 243.

3- Roland Oliver: op. cit , p.143 see also Elspeth: op. cit , p.94.

4- Sergew Hable Selassie:op, cit.,p.18 see also Lewis: Islam In Tropical Africa, London,1980,p.47.

فوزي عبد الرازق مكاوي، المرجع السابق، ص 168-171، يوسف أحمد، المرجع السابق، ص27-28.

المحيطين بملك أكسوم، والذين كانوا أصحاب نفوذ عنده، هم رجال الدين، والذين طالما لعبوا دورًا بالغ الأهمية في تسيير أمور الدولة[1].

وبصفة عامة يمكن القول أن تاريخ أكسوم منذ النصف الأول من القرن السابع وحتى بداية حكم الأسرة السليمانية الجديدة في أواسط القرن الثالث عشر، كان يتلخص في ضعف السلطة المركزية، وزيادة قوة الأمراء المحليين، وانتشار الفوضى، واضطراب الأمن[2].

ونظرًا لطبيعة الأراضي الجبلية في بلاد الحبشة، فلم تقم هناك دولة متحدة ذات حكومة مركزية، فقد عانت الحبشة طويلًا من الانقسام بين عدة حكومات ما أدى إلى انتشار العزلة والتفرقة واستقلال سكان كل جزء بأنفسهم، ما ترتب عليه في النهاية عدم استقرار الأمن ما لم تقم حكومة قوية، كما انتشرت الفوضى وقامت الحروب والمنازعات، إذ كانت تستمر هذه الحروب لفترات طويلة حتى يحسم الأمر بانتصار الطرف القوي على الضعيف وإخضاعه لسلطاته[3].

2- تبعية الممالك الإسلامية لسلطة الإمبراطور

لم تقتصر سلطة الإمبراطور ونفوذه على مستوى المقاطعات المنتشرة في جميع أرجاء المملكة الحبشية فحسب، بل امتد هذا التأثير ليشمل السلطنات الإسلامية أيضًا، والتي كانت في ذاك الوقت تحت سلطة إمبراطور الحبشة[4]. إذ كان يلقب "بملك ملوك الحبشة"

---

1 -Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia (1270-1527) , Oxford, Clarendon press, 1972, p.54.

2- عبد المجيد عابدين: المرجع السابق، ص 145-147.

3- Francisco Alvarez: The Prester John of the Indies translated by C.F. Beckingham and Huntingford G.W.B, Cambridge ; Hakluyt Society, 1961, p.54.
عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، جذور الإسلام التاريخية في الحبشة أو أهل بلال، الطبعة الأولى، القاهرة، 1415هـ/ 1994م، ص 225.

4 - Otto Jaeger and Ivy Pearce: Antiquities of North Ethiopia, Brockhaus, Stuttgart, 1970, p.65.

Neguse Nagast صاحب أمحرا Amhra[1]، وذلك على اعتبار أن هذا الإمبراطور كان يسيطر – ولو من الناحية النظرية فقط – على ممالك عديدة يحكمها ملوك تابعون له. ففي منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي كتب ابن فضل الله العمري عن سلاطين المسلمين في الحبشة بقوله: "إنهم كلهم تحت سلطان ملكهم الأكبر المسمى بلغتهم (الحطي)"، كما أشار إلى طريقة توليتهم العرش بقوله: "وجميع ملوك هذه الممالك وإن توارثوها لا يستقل منهم ملك إلا من أقامه صاحب أمحره، وإذا مات الملك منهم، ومن أهله رجال قصدوا جميعهم صاحب أمحرة، وبذلوا المقدرة في التقرب إليه، فيختار منهم رجلًا يوليه... وهم كالنواب له"[2].

وهكذا كان تعيين الملوك المسلمين في السلطنات الإسلامية بيد إمبراطور الحبشة، وإن كان الحكم فيها وراثيًّا، إلا أن التعيين كان لا بد أن يتم بموافقة الإمبراطور[3]، فقد أشار القلقشندي إلى ذلك بقوله: "وجميع ملوك هذه الممالك وإن توارثوها لا يستقل منهم بملك إلا من

1- Jones and Monroe: op. cit , p.63.

2 - العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص 45.

3- السيد فؤاد شكر الله: لبنا دنجل إمبراطور إثيوبيا، دبلوم غير منشور بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية،القاهرة، 1961، ص 21-22 ويمكن التدليل على ذلك من خلال الإشارة إلى الاتفاق الذي عقده يكونو أملاك مع آخر ملوك الأجويين (تكويتا لاب) عن طريق القديس تكلاهيمانوت، فقد نص هذا الاتفاق على أن يحتفظ هذا الملك بولايته "لاستا" وأن يحمل لقب "نجوس" ملك وأن يجلس على عرش ذهبي مماثل لعرش الملك الحبشي، وتكون له شارات ملكية مصنوعة من الفضة وكذلك سنان رمحه، على أن ذلك لم يمنع من الاعتراف بأنه مجرد تابع للإمبراطور نفسه، ولذلك ليس من المبالغة في الاعتراف بأن تسمية هذه الأجزاء "بممالك" أو تسمية حكامها "بملوك" إنما هو من قبيل المجاز فقط كما كان الأمير المحلي يقيم قصره على نمط مشابه للقصر الملكي. للمزيد من التفاصيل، زاهر رياض، الإسلام في إثيوبيا، ص 122، كرم الصاوي، المرجع السابق، ص 24.

Sergew Hable Selassie: op, cit., p.124 see also Taddesse tamrat: op. cit., pp.11-15.

إقامه صاحب أمحرا...."[1]. وإمعانًا في المزيد من السيطرة على هؤلاء الملوك، فرض عليهم أباطرة الحبشة عدة أحكام تزيد من ولائهم للبلاد[2].

وقد لجأ ملوك الأحباش إلى عدة أساليب لفرض سيطرتهم على الممالك الإسلامية، وضمان تبعيتها لهم. ومن أهم مظاهر تبعية الممالك الإسلامية لإمبراطور الحبشة ما يلي:

أ- فرض الإتاوات

لجأ ملوك الأحباش إلى فرض إتاوات عينية ومالية على بعض ممالك الزيلع الإسلامية، ولقد ذكر القلقشندي في هذا الصدد "أن عليهم (أي المسلمين) قطائع مقررة، تحمل إليه في كل سنة من القماش والحرير والكتان، مما يجلب إليهم من مصر واليمن والعراق"[3]، علاوة على ذلك فلقد كان ملوك الزيلع يدفعون إتاوات مالية لإمبراطور الحبشة كدليل على تبعيتهم وخضوعهم له خاصة في أوقات المحن والهزائم[4].

وإمعانًا في إخضاع المسلمين وإذلالهم وضمان تبعيتهم، فقد فرض على ملك هدية أن يقدم سنويًا – فوق الإتاوة – إحدى بناته لإمبراطور الحبشة لتصبح من زوجاته أو جواريه، وذلك اتقاء للتخريب والحروب. وفي هذا الصدد ذكر عرب فقيه أنهم يفعلون ذلك اتقاء للحروب ويقول:

---

1 - القلقشندي: المصدر السابق، ج 4، ص332، المقريزي، المصدر السابق، ص 8.

2 - ومن ضمن هذه الأشياء فرض إتاوات عينية ومالية عليهم، ومساعدة الإمبراطور الحبشي في حروبه ضد أعدائه، ومنع المسلمين من استعمال أدوات الحروب، فضلًا عن استضافة الإمبراطور أثناء تجوله في البلاد لتفقد أحوالها، وللمزيد من هذه التفاصيل انظر محمد أحمد محمد علي بهنساوي: الفن الحربي في الحبشة في عهد الأسرة السليمانية (669-948هـ/1270-1543م) رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2009م، ص ص 30-35. انظر كذلك

- John Cameron Grant: The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards, Paris,1901,p.38.

3 - القلقشندي: المصدر السابق، جـ4، ص 332- 333.

4- Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.54.

"وحكم علينا أن نعطيه البنت والمال، ونعطيه مخافة أن يقتلنا ويخرب مساجدنا، وإذا أرسل الذي يتقبل البنت والمال أخرجنا له البنت على السرير، ونغسلها ونكفنها بثوب، ونصلي عليها، ونحسب أنها ميتة ونعطيها له، فإنا وجدنا آباءنا وأجدادنا يفعلون ذلك"[1].

ولقد كان الامتناع عن دفع الإتاوة كفيلًا باتهام حاكم المملكة الممتنع بالخيانة العظمى، ما يعرضه لعقوبات قاسية تصل لحد الإعدام[2]. ولذلك كانت معظم الممالك الإسلامية بهضبة الحبشة في منطقة القرن الإفريقي تداوم على دفع الإتاوة لملوك الحبشة[3]، ولما كانت سلطنة أوفات الإسلامية[4] هي أقوى هذه الممالك[5] لتزعمها حركة الجهاد، فقد أطلق على ملكها "ملك كل المسلمين"[6]، فعندما كانت

---

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 281.هذا وقد ذكر بعض الباحثين أن الملكة هيلانة هي ابنة أحد ملوك هدية وهي مسلمة عربية يقال لها رومنا (رمانة)، حيث تزوجها الملك الحبشي زرء يعقوب عرفًا بجميل وولاء والدها له عندما ثار عليه أحد الطامعين، وأطلق عليها لقب هيلانة نسبة إلى أم الإمبراطور قسطنطين الذي اعترف بالديانة المسيحية في الإمبراطورية الرومانية وذلك بموجب مرسوم ميلان الشهير 313م، وقد حاولت في بداية الأمر أن تشد من أزر المسلمين وذلك بمحاولة التوفيق بين ملوك عدل والأحباش، إلا أنها سرعان ما انقلبت عليهم، وخاطبت الدول الأوربية لمساعدتها في محاربتهم، وكان لها أثر كبير في إدارة الشؤون السياسية والدينية في الحبشة لفترة طويلة حتى توفيت عام 1525م (كما سنرى). لمزيد من التفاصيل انظر: بدر السيد بدر نصار، رحلة الحسن بن أحمد الحيمي لشرق إفريقية في القرن السابع عشر وظروفها التاريخية، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1978، ص 91.

2 - ت. تامرات: المرجع السابق، ص 437.

3 - يذكر أنه من الأسباب الرئيسة لقيام الأحباش بحملات على ممالك المسلمين رفض بعضهم دفع الضرائب، فيذكر أن سبب حملة عمدا صيون على فاسليس Vassals كان بسبب رفضها دفع الضرائب. انظر كرم الصاوي: المرجع السابق، ص 24.

4 - عرفت هذه السلطنة قديمًا باسم بلاد الأحباش والأعفار الزيلع. وهي تشمل ما يعرف حاليًا بجيبوتي وإرتيريا أي أنها كانت تسيطر على مدخل البحر الأحمر من ناحية الجنوب الغربي وتقابل بلاد اليمن، مما جعلها أقوى مملكة إسلامية في منطقة القرن الإفريقي لرخائها الاقتصادي. للمزيد عن هذه السلطنة انظر رجب محمد عبد الحليم، العروبة والإسلام، ص89-134.

5 - Roland Oliver: op. cit , p. 143.

6 - Richard Pankhurst: op. cit , p.74 see also Lewis: op. cit , pp.59-61.

تمتنع عن دفع الإتاوة وتستقل عن إمبراطور الحبشة كانت تتعرض لأعنف الحروب وأشدها قسوة وهو ما اعتبر أحد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى قيام الحروب بين الفريقين في منطقة الزيلع[1]. ولم يكتف إمبراطور الحبشة بفرض الإتاوة على الممالك الإسلامية بل لجأ إلى العمل على إضعاف تلك الممالك.

ب- المعسكر الإمبراطوري

ومن مظاهر ولاء الممالك الإسلامية لإمبراطور الحبشة استضافة المعسكر الإمبراطوري الذي يشمل آل بيته وحاشيته وخدمه وكبار مسؤولي دولته ورجال الدين (على رأسهم المطران والقساوسة)، في أنحاء مختلفة من المملكة، وقد فرض على هذه الممالك أن تقدم كل ما لديها لاستضافة هذا المعسكر والذي لقب بالمعسكر الإمبراطوري[2]. ولما كان هذا المعسكر يقام غالبًا في المناطق التي تشهد أوقات الجفاف وما يتبعه من ذلك قلة المحاصيل الزراعية، فلقد كان على المسؤولين أن يبذلوا جهودًا كبيرة لتقديم المساعدات والإقلال من الأضرار الناجمة عن الجفاف وقلة المحاصيل[3].

ج- مساعدة الإمبراطور الحبشي في حروبه

وامتدت مظاهر ولاء ملوك الممالك الإسلامية للإمبراطور الحبشي وإظهار الخضوع له، بتقديم المساعدة له بالمال والرجال والسلاح في حروبه التي يشنها على الخارجين عليه والثائرين على حكمه. فما تكاد تعلن الحرب حتى يقوم الإمبراطور بتعبئة جيشه وضم جيوش الممالك التابعة له وعلى رأسهم قوادهم وفرسانهم للمساعدة في حروبه[4].

---

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 28.

2- Budge: op. cit. p. 291.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 302.

Ronland Oliver: The African Middle Age 1400-1800, p.47.

4- Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.46.

د- منع المسلمين من استعمال عدة الحروب

ولكي يضمن الإمبراطور الحبشي إخضاع المسلمين لسلطانه وإبعادهم عن القتال والحروب، حظر عليهم استخدام بعض أدوات الحرب وخاصة الخيول، خوفًا من تفوقهم العسكري ومحاولتهم الاستقلال عن الدولة[1]. حتى أن عرب فقيه قد ذكر في هذا الصدد: "حكم على أبائنا المتقدمين وحكم علينا ألا نلبس عدة الحرب، ولا نمسك السيف، ولا نركب خيولنا بالسروج إلا على متن ظهورها"[2].

ورغم ذلك فلم تُعط هذه الممالك الإسلامية أهمية لهذا الحظر الذي فرضته عليهم ملوك الأحباش، وذلك نظرًا لبعد السلطة المركزية عن ممالكهم، ما مكنهم من محاربة الأحباش والانتصار عليهم في بعض الحروب، خاصة تلك التي قامت في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

مما سبق يتضح مدى سعي الأباطرة - وبشتى الطرق - لإحكام سيطرتهم على الممالك الإسلامية وإخضاع ملوكها لسلطانه، وعلاوة على ذلك فلقد كان الإمبراطور يعمد إلى استمالة بعض الزعماء المسلمين في السلطنات المختلفة (وخاصة في إمارات هدية وأوفات ودوراو وعدل)، وذلك لمساعدته في تنفيذ سياسته في المنطقة[3]، حتى أن عمدا صيون الأول Amda Seyon I (714-745هـ/1314-1344م) قد جعل المسلمين تحت أمرائه وزعامة كل من هو صديق أو موالٍ له من أسرة عمر والي أشمع، وذلك بغرض التأثير على سير مجريات الأمور في هذه المملكة[4].

---

1 - القلقشندي: المصدر السابق، جـ5، ص325.

2 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 281.

3 - Roland Oliver: op. cit , p.147.

4- سيف الإسلام بدوي بشير: البلاط الإثيوبي والزعماء المسلمون بالحبشة حتى عام 1525م، في مجلة دراسات إفريقية، العدد الرابع والعشرين، ديسمبر2000،ص 190.

ورغم كل محاولات البلاط الحبشي لإحكام السيطرة على ربوع المملكة الحبشية بشتى الطرق السالف الإشارة إليها، إلا أن موقف المسلمين من هذا التسلط لم يكن سلبيًّا، فقد بذلوا الكثير من المحاولات الرامية إلى الفكاك من تبعية ذلك الإمبراطور[1]. إلا أنه كثيرًا ما كانت هذه المحاولات تبوء بالفشل، إما بسبب طابعها الفردي[2]، إذ وصف القلقشندي هذا الأمر قائلًا: "وهم مع ذلك كلمتهم متفرقة وذات بينهم فاسدة"[3]، أو بسبب محاولة البعض من حكام تلك الممالك التقرب للإمبراطور الحبشي خاصة أنه "إذا مات منهم ملك ومن أهله رجال قصدوا جميعهم سلطان أمحرا، وتقربوا إليه جهد الطاقة، فيختار منهم رجلًا يوليه، ... فهم له كالنواب، وأمرهم راجع إليه"[4].

على أية حال لقد أبرزنا مظاهر خضوع وتبعية الممالك الإسلامية للإمبراطور الحبشي، وموقف هؤلاء الملوك من هذا التسلط الحبشي. فإنه يتبقى الإشارة في هذا الصدد إلى أمرين ربما يسهمان في التدليل على عمق هذا الخضوع وجذور هذه التبعية أولهما: هو استعانة ملوك

1- كانت هذه الثورات كثيرة، لدرجة أنه لم يخلُ حكم ملك حبشي إلا وقامت فيه بعض الثورات من جانب بعض الحكام المسلمين، وكان أكثرها في عهد كل من عمدا صيون الأول، ولبنا دنجل، وقد واجه هؤلاء الملوك هذه الثورات بمنتهى القسوة والوحشية "فعندما تمرد يايكا إجازي Igzi-Ya,ibika فإن الملك عمدا صيون تمكن من إسقاطه وعزله، علاوة على أنه قام بتعيين رجال ليسوا من نسل آدم، وكان يطلق عليهم هلاستيوتت Halastiyotat وهي تعني أفراد من أصل وضيع"، وللمزيد: انظر كرم الصاوي: المرجع السابق، ص 10 وما بعدها.

2- Paul B. Henze: op. cit , p.66.

3- المصدر السابق، جـ4، ص 332، كذلك

Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p. 56.

4- نفس المصدر والصفحة. وقد اتبع حكام معظم هذه الممالك سياسة غير حكيمة أضرت بمصالح البلاد خاصة في بداية القرن السادس عشر الميلادي، تمثلت في تقربهم لملوك الحبشة أثناء صراعهم على السلطة وعدم اهتمامهم بشؤون الإمارة، مما ترتب عليه الفوضى وفقدان الأمن وسيطرة قطاع الطرق (الشفتا) وضياع الحقوق وانتشار العادات الاجتماعية السيئة كشرب الخمر انظر. عرب فقيه، المصدر السابق، ص 5-6.

الحبشة بعصابات قطاع الطرق (الشفتا) وذلك لضرب المسلمين في بلاد الزيلع، فضلًا عن الاستعانة بهم داخل مملكة الحبشة نفسها، وذلك للتغلب على الأمراء الطامعين في كرسي العرش[1].

أما الأمر الثاني: فهو يتعلق بتلك الرسالة التي أرسلها زرء يعقوب Zara Ya'kob (838-873هـ/ 1434-1468م) إلى سلطان مصر الظاهر جقمق[2] (842-857هـ/1438-1453م): "المحب الصادق زرء يعقوب... ملك سلاطين الحبشة، وصاحب النواب بالمملكة الحبشية... وأنتم حفظكم الله ليس يخفى عليكم ما في بلادنا الواسعة من المسلمين تحت حكمنا، ونحن لهم ولملوكهم مالكون)[3].

3- وراثة العرش (دور جبل أمبا جيشن في الحكم)

أشار العديد من الرحالة الأوربين بأن عادة "سجن الأمراء الملكيين" ظهرت منذ منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في الحبشة، نتيجة ظهور مشكلة الصراع على العرش بين أبناء الملوك، ولكنها اتسعت بشكل أكبر في بداية حكم الأسرة السليمانية[4] يتضح ذلك أن مؤسسها يكونو أملاك بنى دارًا محصنة في جبل "أمبا جيشن Amta Gyuechen" (الذي عُرفَ باسم جبل الملك)، وذلك بغرض حجز جميع

---

1 - زاهر رياض: الشفتا في إثيوبيا في العصور الوسطى وأثرهم في تاريخ البلاد السياسي والاقتصادي، بحث في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد 19،العدد الثاني، ديسمبر،1957، طبعة 1961م، ص 218، رجب محمد عبد الحليم: موقف الحبشة من ممالك الزيلع الإسلامية في العصور الوسطى، أعمال الندوة الدولية للقرن الإفريقي من 1- 7 يناير 1985 بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، الجزء الثاني، ص 632.

2- Paul B. Henze: op. cit, p.70.

3 - السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، 1315هـ، القاهرة، ص 67، جرجس فام ميخائيل، السلطان جقمق وحالة مصر في عصره (1438-1453م) رسالة ماجستير غير منشورة بآداب القاهرة، 1969، ص 53، منى إبراهيم عبد الرحمن، السفارات الأجنبية في مصر على عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة بآداب القاهرة، 1395هـ- 1975م، ص 90.

4 - Taddesse tamrat: op.cit., p. 282.

أعضاء الأسرة الحاكمة من الذكور مثلهم في ذلك مثل الرجال المنفيين، وذلك لمنع أي محاولة من جانبهم لاغتصاب العرش[1]، وهكذا أصبح من المتعارف عليه في هذه الفترة أن يقوم الإمبراطور السليماني بمجرد توليه العرش بسجن جميع إخوته وأعمامه وكل من يرى فيهم علامة ثورة من أقربائه ويسجنهم جميعًا في هذا الجبل[2].

وقد قام الإمبراطور يكونو أملاك بتجديد هذه العادة الملكية فور توليه حكم البلاد، فأعاد الأذهان لشهرة جبل الملوك مرة أخرى، لكنه ازداد شهرة بعد أن وضع فيه الإمبراطور (زرء يعقوب) جزءًا من الصليب المقدس، لذا أطلق على هذا الجبل في عهده لفظ "جبل الصليب" Masaqal Amba أو عرش الصليب Manbara Masaqal، وقد أحضره (زرء يعقوب) على ظهور 88 جملًا و100 بغل، وكان ذلك أحد الاسباب الذي رفع به (زرء يعقوب) إلى مرتبة القديسين بعد موته[3].

ولم يكن اهتمام (بئيد ماريام) أقل من اهتمام أبيه بشأن ذلك الجبل، فلم يكتف (ماريام) باستمرار تلك العادة، بل أكد على ضرورة ألا يبقي خارج هذا الجبل إلا الابن البكر وولي عهد الإمبراطور فقط، كما أعلن أن ذلك لا بد وأن يتبع إلى الأبد لكل أبناء الأباطرة وجميع الورثة، وإلا فسوف يقومون بالاستيلاء على أجزاء من البلاد[4]، يذكر أن الحبشة بدأت في التخلي عن هذه العادة في نهاية حكم الإمبراطور (ناؤود)[5].

---

1 -Budge: op. cit. pp. 287-288.

2- ت. تامرات: المرجع السابق، ص 432، حمدي السيد سالم: الصومال قديمًا وحديثًا،الطبعة الأولى،1965م، ص 392، زاهر رياض: تاريخ إثيوبيا، ص 74.

3- David Buxton: Travels In Ethiopia, U. S. A, Frederick A. praeger. Inc. publishers,1967,p. 68.

4- Almeida: Some Records of Ethiopia 1593-1646, pp.97-102.

5 - Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, pp.87-117.

أما عن حياة الأمراء فوق هذا الجبل، فقد كانت توجد في قمة الجبل منازل مبنية من الحجر والطين والقش والخشب، وقد وعدهم بعض الأباطرة بتخصيص ثلث عائدات الإمبراطورية لهم - وإن كان ذلك مبالغًا فيه، إلا أنه تم إعطاؤهم بعض الأراضي - التي كانت تقع بالقرب من الجبل - لزراعتها وتخصيص عائداتها لصالحهم، وكانت تجمع الإيرادات ويرسل إليهم منها ما يحتاجونه من طعام وملابس وهدايا قيمة وأي شيء يحتاجونه، وهكذا كان الإمبراطور شديد الاهتمام بإرسال المال الوفير والهدايا النفيسة إليهم[1]، كما كان يتكفل بإمدادهم بأقواتهم. كما سمح الإمبراطور (إسكندر) بإرسال بعض النبلاء للعمل لصالح هؤلاء الأمراء كوسطاء تجاريين[2].

ورغم المزايا التي تمتع بها هؤلاء الأمراء، إلا أنهم كانوا مقيدين بقيود عدة، فقد كان يحرم عليهم إقامة أي علاقات سياسية أو اجتماعية حتى يظلوا في عزلة دائمة، و كانوا لا يرحلون من الجبل إلا بأمر الإمبراطور، كما حرم عليهم إرسال أي رسائل إلا بعد فحصها ومراجعتها من قبل قادة الحراس، وإن كانت ترفع – أحيانًا - إلى الإمبراطور. وهكذا كانت الحياة تنتهي بهؤلاء الأمراء داخل هذا الجبل، لدرجة أن أغلبهم كان يتجه إلى الدراسات الدينية والأدبية[3].

---

1 - اختلفت العائدات المالية التي كانت ترسل إلى هؤلاء الأمراء من فترة إلى أخرى على حسب ظروف المملكة الاقتصادية وظروف الحروب التي كانت تمر بها، ففي عهد لبنا دنجل الذي تميز عهده بانتصار المسلمين عليه، لم يكن يرسل لهؤلاء السجناء إلا أقل القليل، لدرجة أنه رفعت عنهم الحراسة وأصبحوا طلقاء ونزل هؤلاء الأمراء وصعدوا حسب أهوائهم من وإلى الجبل. إلا أنها عادت مرة أخرى –الحراسة- في عهد الإمبراطور فاسيلدس Fasiladas (1632-1667م)، وقد اختار هذا الإمبراطور لهذه المهمة جبلًا آخر هو جبل ويحنا Wehni.انظر:

- Almeida: op. cit.pp.99-100.

2 -Ibid, pp. 100-101.

3 - كان زرء يعقوب في هذا الجبل قبل أن يتولى العرش، كما حدث عقب وفاة الملك إسكندر بن أدماس (883-898هـ/ 1478-1492م) أن زحفت قوة من الجيش الحبشي نحو

ويصف بعض الرحالة هذا الجبل بأنه كان مستدير الشكل يبدو من أعلى على شكل صليب، ويرتفع حوالي 3250 مترًا فوق سطح البحر، وهو محاط بالعديد من الممرات لدرجة أن من يريد الصعود إلى أعلاه كان عليه السير على أقدامه لمدة نصف يوم للوصول إلى قمته، وذلك نظرًا لشدة انحداره، فضلًا عن أنه يضيق مساره جدًّا كلما اتجهنا إلى أعلى، ومع أن الأبقار والثيران كانت تصل إلى قمته، إلا أن ذلك كان يتم عن طريق ربطها بالحبال وجرها عن طريق عدد كبير من الرجال الأشداء[1].

ورغم انحدار الجبل ومساراته الضيقة، إلا أنه و للمزيد من السيطرة على أمرائه، تم تحصينه - الجبل - بعدد كبير من حرس القوات الملكية، إضافة إلى عدد من كبار قادة الجيش الملكي. ويبلغنا الأب (ألفاريز) أن ربع سكان البلاط الملكي هم من حراس جبل الملوك، وهؤلاء الحراس وقادتهم يسكنون بمفردهم، ولا يسمح لأحد بالاقتراب منهم ولا يذهبون إلى أي إنسان، مثلهم في ذلك مثل الأمراء الملكيين الذين حرموا من إقامة أي علاقات اجتماعية، وذلك حتى لا يعلم أي إنسان أسرار هذا الجبل، وحتى عندما كان يريد قائد منهم الاجتماع بالإمبراطور كان لا بد أن يتم هذا بعيدًا عن كل الناس حتى خاصته؛ إذ تقف جميع المناقشات التي تخص أمور الدولة عندما يتحدثون في هذا الأمر[2].

قلعة جشين بجبل الملوك وولوا شقيقه الملك ناوؤد (900-914هـ/1494-1508) لصغر سن ابن الملك السابق عمدا صيون الثاني (898-899هـ/1492-1493م). انظر

-Taddesse tamrat: op.cit., p.269 see also Jones and Monroe ,op. cit, pp.11-72.

1- Alvarez: op. cit., pp.237-238.

2- Alvarez: op. cit.pp.140-141.

ወበይእቲ ፡ ወ*ርኃ ፡ የካቲት ፡ አመ ፡ ሰኑዩ ፡ ተስዕረ ፡ ወተበር
በረ ፡ ግሸን ፡ አምባ ፡ ነገሥት ። ወተረክበ ፡ በህየ ፡ ብዙኅ ፡ ወ
ርቅ ፡ ወብዙኅ ፡ ልብሰ ፡ ሐሪር ፡ መዛግብተ ፡ ንጉሥ ፡
ዘተዘግበ ፡ ፡እመንግሥተ ፡ ይኩኖ ፡ አምላክ ፡ እስከ ፡ መንግሥተ ፡
ልብነ ፡ ድንግል ። ወካልአነሰ ፡ መዛግብተ ፡ አልቦ ፡
ዘየአምር ፡ ዘእንበለ ፡ እግዚእብሔር ፡ ባሕቲቱ ። ወአሚሃ ፡ ወርቅ ፡

وهكذا تم تحصين هذا الجبل خوفًا من أن يتسلل الثائرون أو الطامعون في العرش إليه، فقد أُقيم حوله ثلاثة أسوار متتابعة الأمر الذى يصعب معه الانتقال من سور إلى آخر إلا باستخدام سلالم خشبية، خاصة في ظل وجود طريق ضيق لا يتسع إلا لفرد واحد على الأكثر لوعورته وشدة انحداره[1]. ونظرًا لشدة حراسة هذا السجن الملكي ولوعورته وشدة انحداره، فشلت قوات الإمام أحمد بن إبراهيم[2] عندما حاولت السيطرة عليه فى الفترة بين عامي 1531-1532م، إلا أنه استطاع اقتحامه في هجومه الثالث عام 946هـ/ 1540م في عهد (لبنا دنجل) ونهب كل ما فيه من ذهب وفضة وأموال... إلخ، كما نجح في قتل معظم هؤلاء الأمراء[3].

---

1 - Jones and Monroe: op. cit , p.5.

2 - أشهر قواد المسلمين الذين حققوا عدة انتصارات علي نصاري الحبشة حتى استطاع الوصول إلى قلب الهضبة الحبشية وقد تتبع الإمبراطور لبنا دنجل حتى استنجد الأخير بالبرتغاليين، وقد قتل الأمام أحمد في معركة صمبر كوري عام 1542م وللمزيد انظر محمد أحمد محمد علي بهنساوي، الفن الحربي في الحبشة، ص 104.

3 - وفي شهر يكاتيت دمرت "جيشن" ونهبت، وهو جبل الملوك، وهنالك اكتشف الذهب والحرير بكميات كبيرة، فضلًا عن كنوز الملوك التي تراكمت منذ عهد يكونو أملاك حتى عهد لبنا دنجل، وكنوز أخرى الله وحده يعلمها. انظر:

- Manfred Kropp: Op. Cit , pp.19-20 see also Roland Oliver: The Rise of The Solomonic Dinasty, The Cambridge History of Africa, Vol. 3 , Cambridge University Press, 1977,p.96

ورغم الدور الذي أداه هذا الجبل في استقرار المملكة، والذى يعد أحد العوامل الرئيسية التي أسهمت في الحفاظ على وحدة المملكة وقوتها، إلا أنه واجه بعض الانتقادات، إذ أشار بعض الباحثين إلى أن عادة حجز الأمراء الملكيين في أمبا جيشن أدت إلى ضعف المملكة المسيحية. لأن هذا الأجراء لا يتفق مع أساس التربية السليمة لإمبراطور المستقبل، ولأنه يؤدي إلى ضعف طموحاته أثناء إقامته فوق هذا الجبل، فقد يتعود على حياة التعاليم الدينية، كما أنه قد لا يعرف شيئًا عن إدارة شؤون المملكة ولا كيفية التعامل مع كبار المسؤولين أو حتى كيفية ممارسته الأعمال التجارية، لذلك كان لا بد أن ينشأ هؤلاء الملوك في المعسكرات الإمبراطورية وسط كبار مسؤولي الدولة ومتخذي القرار، حتى يستطيع حين يصبح إمبراطورًا أن يدير شؤون الحكم، كما كان لا بد أن يسمح الإمبراطور برؤيته على الأقل لجنوده وشعبه ليشعر الشعب بالهدوء والطمأنينة[1].

ورغم الانتقادات التي وجّهت إلى أمبا جيشن من قبل العديد من المؤرخين، إلا أنه حدَّ من نشاط هؤلاء الأمراء في أن يشاركوا بأي دور في النزاع القائم على العرش. وعند موت الملك كان يوجد خارج هذا السجن أبناؤه فقط في حماية جيش أبيهم، إذ أن بعضهم حظي بالرعاية السياسية وتأييد قادة الجيش وسارت الأمور في كثير من الأحيان لصالحهم، فضلًا عن أن كبار مسؤولي المملكة كانوا يشاركون في أعمال هؤلاء الأمراء، وذلك بدعم من أمراء الجيش وبعض رجال الدين، إضافة إلى رجال البلاط الملكي، ويؤيد ذلك (زرء يعقوب) نفسه، فعندما نقرأ

وشهر يكاتيت هو الشهر السادس في قائمة الشهور الحبشية، وهو يوافق الفترة من 28 يناير حتى 28 فبراير في الشهور الإفرنجية. انظر أيضا إبراهيم محمد حسن، الإمام أحمد بن إبراهيم الصومالي وفتوح الحبشة، رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 1972م، ص43.

1- Bruce: op. cit.pp.262-263.

سجلات حياة القديسين يقول (زرء يعقوب) في أول ظهور له بعد توليه الحكم: "إن قوات من أقاربي ثارت لي لاستعادة عرش والدي"[1].

وعلى ذلك يمكن القول إنه بفضل الموقع الحصين للجبل، والإجراءات المتخذة لحراسته، وتسليح الحراس بأحداث الأسلحة من مدافع وبنادق وغيرها، كل هذه العوامل جعلت من جبل الملوك حصنًا منيعًا لا يجرؤ على غزوه الثائرون ولا يقوى الطامعون على اقتحامه. لذلك اعتُبر أحد العوامل الرئيسة التي أسهمت في الحفاظ على وحدة المملكة وقوتها[2].

وهكذا يستمر الإمبراطور في الانفراد بسلطة الحكم، ويستمر الجبل في منع أي وريث من المطالبة بحقه المشروع في الحكم، وفي حالة وفاة الإمبراطور دون ترك أي وريث من أبنائه المباشرين، فكان يتم اختيار أحد أمراء جبل الملوك ليحكم البلاد[3]. ونظرًا لما كان يعانيه الإمبراطور الجديد في سجنه من قسوة الحياة، والعزلة، والحرمان من العلاقات الاجتماعية، وعدم وجود أي ملاذ اللهم إلا الاستغراق في دراسة الدين المسيحي، لذا فلقد كان الإمبراطور الجديد بمجرد اعتلائه للعرش تظهر عليه علامات غلظة القلب، وجفاء الطباع، وشدة التعصب للديانة المسيحية، والتعالي على الشعب إلى درجة ظهوره أحيانًا بمظهر الإله

1- Edward Ullendorff: The Ethiopians an introduction to country and people, p.168 see also Taddesse Tamrat , The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, p. 87.

2 - Jones and Monroe: op. cit , p.79

3 - كانت عملية اختيار الوريث عندما يموت الملك الحبشي دون أن يترك أولادًا ذكورًا يتم عن طريق مجلس خاص يضم أعضاء أعلى من ضباط البلاط الملكي وبعض النبلاء المهمين ورؤوس الكنيسة والملكة الأم واحتمال اشتراك الزوجة الرئيسة للملك المتوفى، وبالرغم من جميع هذه الإجراءات الوقائية، فقد كان يحدث عادة صراع على السلطة بين الفئات الحاكمة المختلفة في البلاط وبعض حكام المقاطعات المسيحيين. للمزيد انظر:

Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea pp.44-45.

ووكيل الرب في توزيع الرزق على العباد[1] وإن كانت المصادر الحبشية تؤكد أن بعض الملوك الأحباش تميزوا برقة القلب[2].

4- دور الأباطرة وقيادات الجيش ومجلس الأوصياء في اختيار ولي العهد:

لم يضع أباطرة الأسرة السليمانية نظامًا معينًا ثابتًا في حياتهم لاختيار ولي العهد الحبشي، يلتزم به أفراد البيت السليماني من بعده، وبناءً على ذلك تعددت طرق اختيار ولي العهد في المملكة الحبشية ما بين إرادة كبار قادة الجيش، وبين ما يمكن أن نطلق عليه "مجلس الأوصياء"، فضلًا عن تولية الإمبراطور لأحد أبنائه للحكم أثناء حياته.

أ- اختيار الأباطرة الأحباش لولي العهد

وضع (يكونو أملاك) نظامًا معينًا لاختيار ولي العهد التزم به معظم أباطرة السليمانيين من بعده، وقد تأثر في وضعه لهذا النظام بطبيعته البدوية القائمة على النظام القبلي السائد آنذاك لدى الأحباش؛ إذ يتولى القيادة أقواهم وأشجعهم، يدين الكل له بالولاء والطاعة، مثلما حدث عندما تولى هو عرش الأحباش، خاصة في ظل انشغاله الدائم في حروب مستمرة مع المسلمين[3].

---

1 - Jones and Monroe: op. cit , pp.26-34.

2 - "عندما يتحدثون إليه (يقصد الإمبراطور جلاوديوس) قائلين إن فلان الفلاني أحد عبيدك افترى على مملكتك وعلى عرشك، فهذب لسانه ويرد قائلًا: ماذا أقول فهو يعرف أن أقواله ستجمع يوم الدين... ولما كانوا يأتون إليه بوشاية ويقولون له: إن الأقربين يطلبون الحكم فيقول مالي ومالهم". وهذا النص مترجم من الحوليات الملكية الحبشية التي تسجل الأحداث التي تقع في عصور ملوك الحبشة، وهي مخطوطة موجودة في مكتبة بودليان ومسجلة في كاتلوج " دلمان" تحت رقم 19.

-W. Conzelman: chronique de Galawdewos roi d Ethiopie,texte ethiopian, Libraire Emile Bowllon,Paris,1895,p.59.

ترجمة منال عبد الفتاح محمود عبد الله: النص الملكي في تاريخ الحبشة في عصر الإمبراطور جلاوديوس (1540-1559م) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب - جامعة القاهرة، 1418هـ/1998م، ص 1، 19.

3-Budge: The Book of the Saints of the Ethiopian church, II, Olms, 1976, p.454.see also Jones and Elizabeth Monroe: op, cit, P.35.

وعندما تولى (يكونو أملاك) العرش أدرك خطورة هذه المشكلة على أولاده وأحفاده فيما بعد، لذا اهتم بإعادة تقليد أسلافه من ملوك الحبشة القدامى بحجز الذكور من أبناء الأسرة الحاكمة فيما عدا أبناء الإمبراطور القائم في جبل أمبا جيشن[1] لمحاولة منع الصراعات بين أمراء البيت الحاكم على العرش، فقد جاء هو نفسه نتيجة الصراعات الدموية على العرش بين (نيكوتو لاب) وابن عمه (يتبركا)[2]. لذلك فقد عهد ببعض المناصب القيادية إلى أكبر أبنائه سنًّا من الذكور، وكان ذلك تقليدًا قديمًا سار عليه معظم ملوك الحبشة فيما بعد، كما عهد إليه أيضًا بولاية العهد من بعده، وكان من الطبيعي أن يكون الابن الأكبر له من الأولوية في وراثة العرش أكثر من إخوته الصغار، وذلك بتوليه بعض المناصب السياسية المهمة في الدولة التي تؤهله فيما بعد للحكم، لذا أعطى (يكونو أملاك) ابنه (يجيبا صهيون) بعضًا من هذه المناصب[3].

ورغم ذلك فلم يكن الأخ الأكبر في رسوم تعيين الإمبراطور الحبشي في ذلك العصر هو المعيار الأوحد لاختيار ولي العهد، بل كان عليه أن يمتلك من القوة والشجاعة ما يؤهله إلى ذلك. فلم ينظر ابن (يكونو أملاك) وخليفته (يجيبا صهيون) (684-694هـ/1285-1294م) إلى المملكة الحبشية إلى أنها إرث يقسم بين أبناء الإمبراطور، فمن الطبيعي أن

---

1 - يقول ألفاريز أن أول من فكر ووضع أول سجن ملكي هو الملك "يمرها Yimrha" حيث فعل ذلك بأمر إلهي وذلك لوقوع العديد من مشاكل الخلافة على العرش بين أبناء الأسرة الأجوية ووقوعها أكثر من مرة في عهد معظم الحكام، كما كان أول من فكر في بناء كنيسة على هذا الجبل هو الملك "لاليبالا". أما عن تنظيم "جيشن" كسجن ملكي فربما ترجع إلى الاضطرابات التي سادت بعد وفاة (يكونو أملاك) انظر:

Hiob Ludolf: A New History of Ethiopia, the University of Michigan, (U.S.A) 1984, pp. 195-197.

ولوصف جبل أمبا جيشن والمزيد من التفاصيل حول دوره في المملكة الحبشية انظر:

-Alvarez: op. cit , pp. 237-248, Almeida , op , cit ,pp.97-102

2 -G.W.B. Huntingford ,The Wealth of King and the End of the Zague Dynasty, p.21.

3- Paul B. Henze: op. cit , p.60

يؤدي استمرار تطبيق هذا المبدأ إلى تفتيت البلاد، ثم إلى زوالها نتيجة لتقسيمها بين الأبناء ثم تقسيم كل قسم بين أبناء الأبناء وهكذا، إذ كان لدى (يجيبا صهيون) خمسة أبناء ولم يكن مستعدًّا إلى تمزيق مملكته فيما بينهم، كما أنه كان غير قادر على ترشيح أحدهم على العرش ليكون خلفًا له، لذا ابتدع نظامًا فريدًا لم يتبعه أيٌّ من ملوك الحبشة من قبل، إذ قام بكتابة ما يشبه الوصية بأن يتولى كل واحد من أبنائه الخمسة العرش لمدة سنة واحدة وأن لا ينازعه أحد من إخوته الإمبراطور أثناء هذه السنة[1]، وقد التزام جميع الأبناء بوصية أبيهم فيما عدا الابن الخامس الذي يُدعى (سابا أسجد) Sab'a Asgad الذي لم يصبر حتى نهاية فترة حكم أخيه الرابع (جين أسجد) Djin Asgad فتآمر مع أصدقائه للزج بإخوته جميعًا في أمبا جيشن، ولكن الإمبراطور (جين أسجد) علم بهذه المؤامرة وألقى بأخيه وجميع أشقائه في السجن الملكي وانفرد بالحكم لفترة قصيرة، حتى ثار عليه عمه (ودم أرعد) (699-714هـ/1299-1314م) واستولى على الحكم وانفرد به[2].

وهكذا اختير (ودم أرعد) لهذا المنصب لما تحلى به من قوة الشخصية والبطولة، فالتف حوله كبار رجال البلاط وقادة الجيش، وتعاهدوا على أن يحفظوا هذه الأسرة التي شيدها جده (يكونو أملاك) وأن يدينوا له بالطاعة والاحترام. ولم تكن هذه الفكرة غريبة عن الحاكم بوصفه صاحب السلطة المطلقة في المملكة، والذين رأوا فيها أيضًا أنها تعد ملكًا لجميع الأسرة الحاكمة[3].

كما تشير المصادر الحبشية إلى دور الإمبراطور في تعيين ولي العهد، فحين مرض الإمبراطور (زرء يعقوب) مرضه الأخير قام باستدعاء كبار

1- Elaine Murray Stone: A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia , Paulist Press , 2003, p36.

2- Trimingham: op. cit.pp. 65- 72.

3- Paul B. Henze: op. cit , pp.60-61.

رجال الدين خاصة (العقابي ساعات) وكبار رجال البلاط الملكي، كما تم إلقاء القبض على بقية الأمراء الذين كانوا حاضرين في البلاط، وأعلن عن تولي أكبر أبنائه العرش بمباركة الإمبراطور نفسه، بعد أن أعلن أمام الناس أن توليته لـ(بئيد ماريام) لم تكن برغبة شخصية منه، بل بأمر من الرب الذي أمره أن يملكه عليهم[1].

وتدل هذه الأحداث على قوة الإمبراطور حتى وهو على فراش الموت، هذه القوة التى يستطيع معها أن يفرض كلمته وأن يولي من يريد، وهكذا تمكن (زرء يعقوب) من إخماد كل المحاولات التي من شأنها دخول كبار موظفي البلاط في منازعات حول خليفته القادم، فضلًا عن ما يمكن هؤلاء الموظفين من إخماد أية حرب أهلية يمكن أن تندلع عقب موته مباشرة، ومن الطبيعى أن يكون هذا الأمر سهلًا على الإمبراطور عندما يكون له ولد قوي قادر على السيطرة والزعامة والتحكم في أمور الدولة[2].

أما في الحالات التي كان يتوفى فيها الإمبراطور دون ترك وريث ذكر، كانت القوات الملكية - فور موت الإمبراطور - تسرع إلى السجن الملكي لاختيار الأمير الشاب الذي يتولى عرش المملكة، والذي غالبًا ما يكون أخو الإمبراطور السابق[3]. ويلاحظ أن انتقال الحكم من عائلة حاكم إلى شقيقه كان يعد حادثًا مهمًا في البلاد يستلزم إحضار هذا الأخ من فوق جبل الأمراء "أمبا جيشن" ليتوج بدلًا من الإمبراطور الراحل[4].

ب- دور قيادات الجيش في اختيار الإمبراطور:

---

1 - يا شعب إثيوبيا: الملك بئيد ماريام ليس بإرداتي، بل أمر ني الرب أن أملكه من أجلكم" انظر:

-Perruchon: Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Bae'da Maryam, pp.108-109, 168.

2 - Ronland Oliver: The Cambridge History of Africa , pp. 163-164.

3 - Taddesse tamrat: op.cit., p. 282.

4 - زاهر رياض: مظاهر العلاقات، ص 53.

لعب الجيش دورًا في تعيين الإمبراطور الحبشي خاصة في العصر الثاني، فرغم كون (زرء يعقوب) أصغر سنًّا من (حزبانان Hezba Nan 833-835هـ/1430-1433م) إلا أنه كان منافسًا قويًّا له، ورغم ذلك كان لـ(حزبانان) مناصروه ومؤيدوه من كبار قادة الجيش الذين حسموا الصراع لصالحه عام833هـ/ 1430م[1]، وتظهر أيضًا قوة كبار قادة الجيش في تلك الفترة عقب موت الإمبراطور (حزبانان 835هـ/ 1433م فقد تأجج الصراع في المملكة الحبشية بين ثلاث فرق رئيسة، بين الجيش الذي كان مواليًا لعائلة (إسحاق)، والمسئوولين في بلاط الإمبراطور السابق الذين نجحوا في وضع ابنه الأكبر "مهركانان–سروي إياسيوس" Sarwe Iyasus-Mehreka Nan عام 1433م في السلطة، غير أنه مات سريعًا فجاء بعده أخوه "بادل تان-عمد إياسوس" Amda Iyasus- Badel Nan أوائل 836هـ/1434م، و كان لا يزال طفلًا، مما قوى شوكة الفرقة الثالثة في الصراع وهم مؤيدو (زرء يعقوب) ومناصروه خاصة بعد أن انضم إليه بعض فرق الجيش لينجحوا في تنصيبه على العرش[2].

كما نجح الجيش أيضًا في صعود الإمبراطور (ناؤود) إلى الحكم بعد أن مات (عمدا صيهون الثاني 898-899هـ/1492-1493م)[3]، فقد كان هناك انقسام في البلاط الملكي بين معسكرين، معسكر أنصار عائلة (عمدا صهيون الثاني) بزعامة (تكلا كرسيوس)، ومعسكر أنصار عمه (ناؤود) بزعامة (زا سليوس)، وقد اندلعت الحروب الأهلية بين المعسكرين امتدت إلى عدد كبير من المقاطعات الحبشية، واستمرت هذه الحروب الأهلية طيلة ستة أشهر كاملة، تمكن خلالها (تكلا كرسيوس) من هزيمة (زا سليوس)، وسجن معظم ثوار جيشه، وعاقبهم

1 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 6-7.

2 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, pp.279-283.

3 - Taddesse Tamrat: op,cit, p.297.

بإفقادهم أبصارهم، ونجح مع قادة الجيش في اعتلاء (ناؤود) سدة الحكم[1].

ج- دور مجلس الأوصياء في اختيار الإمبراطور:

كما كان لمجلس الأوصياء دورًا في تعيين الإمبراطور في حالة موت الإمبراطور دون وريث ذكر أو دون التوصية لمن يخلفه من بعده خاصة إذا كان له عدة أطفال لا يزالون صغارًا، وخوفًا من اندلاع الصراعات بين أنصار الأمراء المختارين والمتنافسين على العرش، لذا دارت العديد من التشاورات بين مسؤولي المملكة الكبار سواء العلمانيين أو الدينيين لترسيخ بعض الشروط الواجب توافرها في تحديد خليفة أو وريث الملك، وهكذا أنشأ ما يمكن أن نطلق عليه "مجلس الأوصياء" الذي يتكون من كبار مسؤولي المملكة الحبشية مثل الملكة الأم وكبار رجال الدين فضلًا عن كبار رجال الجيش والبلاط الملكي، ونتيجة تشاورات ذلك المجلس ترسخت فيما بينهم بعض الشروط الواجب توافرها في تحديد خليفة أو وريث الإمبراطور، وقد اتضحت هذه الشروط من خلال قوائم الملوك المتاحة في هذه الفترة، وتوصف هذه العملية على النحو التالي: "عندما يموت الملك فإن الأسقف، والحكام، وجنرالات الجيش الملكي يفضلون الابن الأصغر عن كبار السن لتولي الحكم"، كما كان أمن المملكة المسيحية من الجيران المسلمين والوثنيين عاملًا مهمًّا جدًّا في اختيار الإمبراطور الجديد عند أعضاء هذا المجلس[2].

1 - Richard Pankhurst: The Ethiopians , p. 36

2- Budge: The Book of the Saints of the Ethiopian church, p. 667, Almeida op, cit, pp 101-102.

ምድር ፡ ወከኑ ፡ ስንዕዋነ ፡ እመ ፡ ንጉሥ ፡ ርምና ፡ ወዓቃቤ ፡ ሰዓት ፡ ተስፋ ፡ ጊዮርጊስ ፡ ወብሕት ፡ ወደድ ፡ ዓምዱ ፡ እሉ ፡ ሠላስቱ ፡ ኢይትፈለጡ ፡ በገቢረ ፡ ምክር ፡ ወሥርዓተ ፡ ትእዛዝ ።

لذا فإنه عندما مات (بئيد ماريام) و كان أطفاله ما يزالون صغارًا، أصدر مجلس الوصاية قرارًا بتعين ابنه (إسكندر) إمبراطورًا، وكان عمره حين تولى العرش ست سنوات لا يعرف عن شؤون البلاد شيئًا، لذلك قامت أمه الملكة (رومانة Romna) بالوصاية عليه وقد ساعدها في إدارة أمور المملكة (العقابي ساعات تاسفا جورجيس Tasfa Giyoris) وكل من الوزيرين (البحت ودد اليمين) الذي يدعى (أمادا ميكلا Amda-Mikai el) و(البحت ودد اليسار) الذي يدعى (بدالي رد Badla – Re ed)[1].

كما تشير المصادر الحبشية إلى أن تولي ابن الإمبراطور (إسكندر) والذي يدعى (عمدا صهيون الثاني) وهو ما زال طفلًا صغيرًا كان عن طريق ذلك المجلس[2].

---

1 - "ووالدته رومانه والعقابي ساعات تاسفا جورجيس والبحت ودد أماد ميكلا اتفقوا فيما لا اعتراض بينهم ولا في المداولات ولا في الأوامر التي أصدروها" انظر:

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , rois d'Ethiopie. Texte ethiopien inedit comprenant en outré un fragment de la chronique de Ba፡eda- Maryam, leur Predeceddeur, et traduction. In Journal asiatique.ser.9.vol.3. 1894.319-366. Sep.-Dr. Paris, 1894 mit eigner Seitenzahlung. PP.353-354, p.353.

2- "وبالقوة انتقلت الملكية إلى عمدا صهيون الثاني ابن إسكندر وحكم ستة شهور ومات في سلام". انظر:

- Perruchon: op ,cit ,pp.356.

ወበጽንዓ ፡ መንግሥቱ ፡ ዓምደ ፡ ጽዮን ፡ ወልደ ፡ እስክንድር ፡ (fol. 78 r°) እስከ ፡ ኀ ፡ አውራዓ ። ወ እምዝ ፡ አዕረፈ ፡ በሰላም

كما أشارت تلك المصادر أيضًا إلى إصدار مجلس الوصاية قرارًا باختيار الإمبراطور (ناؤود) رغم وجود ابن الإمبراطور (بيئد ماريام) الذي يدعى (إنكا إسرائيل) الذي كان له الحق في تولي حكم البلاد[1].

5- دور النساء في البلاط الملكي:

وضعت الديانة النصرانية الكثير من القيود على الزواج الثاني، ووضعت له شروطًا صعبة، إلا أن الأحباش لم يلتزموا عامة بهذه الشروط، ولا سيما حكامهم. فقد كانت من عادة أباطرتهم الزواج بثلاث زوجات على الأقل، وهو الأمر الذي أوجد العديد من المشاكل بين أعضاء الأسرة الحاكمة. كما كانت هذه العادة أحد أهم العوامل التي أدت إلى تفكيرهم في إنشاء السجن الملكي "أمبا جيشن"، وذلك لمحاولة الحد من الصراعات على عرش المملكة بين الإخوة غير الأشقاء[2].

ومن التقاليد الحبشية أن وراثة العرش تنحصر في ذكور الأسرة الحاكمة فقط، بينما النساء وسلالتهن يحرمون من التاج الملكي، ولكن يسمح لهن بالإقامة وبحرية الحركة حيثما يرغبن[3]. فلم يجعل أباطرة الحبشة للنساء دورًا في إدارة شؤون الحكم داخل المملكة الحبشية،

---

1 - وبعد ذلك حكم سيدنا ناؤود ابن بئيد ماريام وأخ إسكندر في شهر حيدر حيث كانت كل البلاد هادئة، وقد قص أحد الكهنة واسمه يوحنا قبل مجيئه ما يلي: "ولقد سمعت صدنا من السماء يقول: ناؤود يحكم ممتدح ومختلف". انظر:

- Perruchon: op ,cit ,pp.363.

2 - محمد علي بهنساوي: الفن الحربي، ص30.

3 -Knud Tage Andersen: op, cit , p.118 see also Budge,op, cit ,pp. 278-288

فقد اعتقدوا أنه إذا تسلطت امرأة على ملك في عهد من العهود نشأ الفساد وأُضِيْرَ الملك في جلاله ووقاره وحرمته، ولا ينتج عن ذلك إلا الذل والشر والفتنة والفساد[1].

ورغم نظرة المجتمع السلبية تجاه المرأة فيما يتعلق بالأمور السياسية، إلا أنه كان لبعضهن تأثيرٌ كبيرٌ في تسيير بعض مجريات الأمور[2]. إذ تشير المراجع المختلفة إلى أن أم الملك (زرء يعقوب) التي تدعى (إيجازا- كبرا Igzi-Kibra) نجحت في إقناع والده بألا يذهب ابنها إلى أمبا جيشن ونجحت في إرساله إلى إحدى مدارس الرهبنة في أكسوم في دير دبرا أباي (Abbay) ليكون تحت عناية أحد أقاربها المتعلمين. ورغم أن أباه مات وهو لم يبلغ الخامسة عشر من عمره، فقد ذهب بعدها إلى أمبا جيشن ليستكمل دراسته بنفسه[3].

وتشير المصادر الحبشية إلى أن الملك (زرء يعقوب) قد خالف هذه القواعد المتبعة منذ عهد أسلافه، فرغم أنه كان لديه من الأبناء الذكور والإناث، إلا أنه فضل أن يعطي بعض المناصب السياسية الكبري لبناته، بل وبنات أخيه بدلًا من أولاده الذكور[4].

1- Richard Pankhurst: The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967, pp.2-3.

2 - تذكر الروايات التاريخية في عصر الزغاوة أن الملكة مسقال كبرا Masqal Kibra زوجة الملك لاليبالا استطاعت إقناع زوجها بالتنازل عن العرش لابن أخيه نيكوتولاب، ولكن بعد حوالي ثمانية عشر شهرًا عندما أساء جنوده إلى الشعب الحبشي عدلت الملكة عن رأيها وأقنعت زوجها مرة ثانية بالعدول عن قراره وأن يسحب منه العرش مرة أخرى. انظر:

- Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, pp. 62-63.

3 - Ibid, pp. 289-291.

4 -لم أجد أحدًا قد عين في وظيفة البحت ودد سوي الأختين اللتين تحكمان والمقيمتان في مقر البحت ودد، ومثلهن جميع إخوتهن، عينهن أبوهن الملك في كل أرض الحبشة تحت إمرته". انظر:

Perruchon: op.,cit.,pp. 13-14.

كما أشارت تلك المصادر برغبة أم الإمبراطور (بئيد ماريام) التي تدعى (صهيون موجسا Siyon- Mogasa) في توليه العرش في حياة أبيه؛ إذ أرسلت إلى العديد من القديسين ورجال الدين في الصحاري بذلك[1].

كما أرسلت إلى بعض حكام المقاطعات لإمداد ابنها بالثوار والجنود، إلا أن مؤامرتها اكتشفت فكان عقابها الجلد حتى الموت[2].

አንቲኒ ፡ ትፈ
ቅዲ ፡ ይንግሥ ፡ ለኪ ፡ ወልድኪ ፡ እንዘ ፡ ሀሎኩ ፡ አነ ፡ ዘርአ ፡
ያዕቆብ ፡ ውስተ ፡ መንበርየ[1] ፡ ወለአኪ ፡ ኀበ ፡ ኩሎሙ ፡ ቅዱ
ሳን ፡ እለ[2] ፡ ሀለዉ ፡ ውስተ ፡ አድባራት ፡ ወማኅናት[3]

كما أدت عادة زواج الملوك بثلاث زوجات إلى وجود صراع فيما بينهن على جعل أولادهن الذكور يتربعون على عرش المملكة بعد وفاة الإمبراطور[3]. فقد تصارعت الملكة (رومانة) عندما مات زوجها (بئيد ماريام) مع (العقابي ساعات جورجيس) ومع كثير من رجال الدين على تولية ابنها الصغير (إسكندر) وهو ما تم لها بالفعل، في حين كانت زوجة الملك الثانية التي تدعى (إيرشاجوزيت) تريد تولية ابنها تيودورس إلا أنها فشلت في ذلك، ورغم ذلك إلا أن كلتيهما اختفت من البلاط الملكي بعد

---

1 -"أنت أيضًا ترغبين في أن يحكم ولدك بينما لا أزال أنا زرء يعقوب فوق عرشي، وأرسلتِ إلى جميع القديسين الذين كانوا في الأديرة وفي (كل) الأماكن"، انظر:
- Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.107.see also Budge: A History Of Ethiopia ,p.311.

2 -عندئذ غضب الملك، وأمر أن يعاقبوها ويجلدوها كثيرًا. ومن آلام هذه العقوبة والجلد لأيام كثيرة ماتت ودفنوها سرًا في مكان يدعى مقدس مريم كان قريبًا من دبر برهان".

3 - كانت هذه العادة أيضًا تقليدًا قديمًا في المملكة الحبشية، فتذكر الأساطير أن أم الملك عيزانا احتفظت له بالعرش بعد موت والده وساعدها على ذلك بعض رجال الدين المسيحيين، للمزيد انظر فوزي عبد الرازق مكاوي، المرجع السابق، ص 170.

ذلك، فقد آثرت الملكة رومانة الابتعاد عن الحياة عامة إلى دير صغير بالقرب من دير دبر ليبانوس حتى ماتت[1].

- دور (إيليني) في الحكم كوصية على الأباطرة القاصرين:

أشارت المصادر الحبشية إلى أن الملكة (إيليني) (هيلانة)[2] زوجة (زرء يعقوب) الثانية لم تنجب منه، ورغم ذلك كان لها دور رئيس في كثير من الأمور السياسية كوصية على العرش لبعض أباطرة هذه الأسرة، وقد تزوجها الملك عرفانًا لجميل والدها عليه عندما ثار عليه أحد الطامعين واستطاع القبض عليه وتسليمه إلى الملك[3]، فقد كان هذا الزواج سياسيًا بالدرجة الأولى، وقد حاولت (إيليني) أثناء عهد (زرء يعقوب) أن تقوم بتحسين العلاقات مع مسلمي عدل، وأرسلت إلى بعض البلدان الإسلامية ومنها مصر بذلك، غير أن مساعيها للصلح باءت بالفشل[4].

---

1 - Perruchon: op, cit , pp. 174-176.

2 - إيليني أو هيلانة هي ابنة حاكم سلطنة هدية المسلم، وقصة زواجها معروفة؛ إذ ذكرتها كثير من المراجع التاريخية، فالمعروف أن بعض ممالك الزيلع الإسلامية كان عليها أن تدفع إتاوات عينية ومالية إلى إمبراطور الحبشة، وقد ذكر القلقشندي في ذلك: "أن عليهم قطائع مقررة تحمل إليه (الحطي) في كل سنة من القماش والحرير والكتان، وقد درجت عادة أهالي هدية على أداء إتاوة من نوع آخر -فوق الإتاوة السابقة- وذلك بمقتضى معاهدة فرضها حطي الحبشة على هذه السلطنة إذ يقول أهالي هدية في ذلك: "وحكم علينا أن نعطيه البنت، ونعطيه مخافة أن يقتلنا، ويخرب مساجدنا، وإذا أرسل إلينا الذي يتقبل البنت والمال أخرجنا له البنت على السرير، ونغسلها ونكفنها بثوب، ونصلي عليها، ونحسب أنها ميتة ونعطها له، فإنا وجدنا آباءنا وأجدادنا يفعلون ذلك".. إلا أننا نرى أن هذا الزواج لم يكن زواجًا بالمعنى المعروف بل كانت هذه البنت تجيء إلى قصر الملك كجارية من الجواري التي تضم إلى حريم الملك. للمزيد انظر القلقشندي: صبح الأعشي، ج2، ص 133، عرب فقيه، المصدر السابق، ص 281.

3 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red, p. 54.

انظر أيضًا، بدر السيد بدر نصار: رحلة الحسن بن أحمد الحيمي لشرق إفريقية في القرن السابع عشر وظروفها التاريخية، رسالة دكتواره غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1978م، ص 91.

4- Ronland Oliver: The African Middle Age 1400-1800,university of Cambridge, united kingdom ,press ,2004, p.154.

على أن الدور السياسي للملكة (إيليني) لم يظهر على الأحداث أثناء حياة زوجها، وإنما برز دورها بصورة كبيرة في عهد خلفائه، إذ كانت من أكثر الشخصيات نشاطًا في الحياة السياسية، فرغم أنها لم تعد من زوجات الملك الأربع بعد موت زوجها، فضلًا عن موت أم الإمبراطور قبل توليه العرش، إلا أنها كانت أكثر نشاطًا في تصريف الأمور الدينية والسياسية في البلاد. إذ أصبح لها اليد العليا في تصريف مثل هذه الأمور في ظل خبرتها بإدارة الأمور السياسية، لذا فقد أفرط (بئيد ماريام) في حبها وأصدر قرارًا رسميًّا سمح لها بمقتضاه بالاحتفاظ بلقبها القديم Qagn-Baaltehat وهو لقب رسمي يعني "خليفة أو نائب الملك"[1].

ويشير عدد من الباحثين أنه كان لها - إيلينى - اليد العليا في نفي أم الإمبراطور (إسكندر) (رومانة) عندما أرادت في البداية تَوَلي الوصاية، كما أصبح بيدها مقاليد الأمور أيضًا في عهده - (إسكندر) - خاصة بعد أن قامت بانقلاب سياسي في القصر الملكي عام891هـ/ 1486م لإزاحة (البحت ودد أمادا تكلا) عن طريقها[2].

وهكذا سيطرت (إيليني) على مجريات الأمور في القصر الإمبراطوري، وأصبحت تحيك المكائد السياسية للاحتفاظ بنفوذها في الحكم، فقد نجحت في التكتم على موت (إسكندر) واستطاعت من خلال مجلس الأوصياء تعيين (عمدا صيهون الثاني) لصغر سنه وحكمت المملكة طيلة

---

1 - "وقد أحب الملك ملكة اليمين المدعوة بايليني برتبتها جدًّا، لأنها كانت كاملة أمام الرب في كل شيء بعمل البر والإيمان، وبأداء الصلاة (وتقديم) القرابين، (وبمعرفتها) في الدنيا كذلك بنظام الولائم، وبالشريعة، والعلم بالكتاب(المقدس) (وفن) القول. من أجل هذا كله أحب الملك الملكة إيليني وجعلها كأمه.

Perruchon: op,cit., p. 176

2- Rene Basset: Etudies sur l' Historie de Ethiopie, in J.A (Journal Asiatique) Septieme Serie, Tome xvIII,paris, 1987, p. 174.

فترة حكم هذا الملك[1]. وعندما مات ذلك الإمبراطور، أصدرت أوامرها بإغلاق جميع المنافذ المؤدية إلى جبل "أمبا جيشن" وبذلت أقصى ما يمكن لإبعاد (إنكا-إسرائيل) الابن الثالث لـ(بئيد ماريام) لمحاولة البعض توليه الحكم، واستطاعت إقناع مجلس الأوصياء بقبول (ناؤود) ملكًا على البلاد، وذلك تأثرًا بنبوءة الراهب (جون John)[2].

وعندما مات الملك (ناؤود) الذي كان له خمسة أولاد، استطاعت (هيلانة) اختيار (لبنا دنجل) ملكًا بعد أبيه، وذلك بمساعدة الأب (ماركوس Abuna Marcus)، إذ كانت الوصية على العرش بالاشتراك مع الملكة الأم التي تدعى (ناؤود موجسا Na od Mogassa)، فيذكر النص الحبشي في عهد الإمبراطور (لبنا دنجل) أنه كان يباشر سلطاته متبعًا توجيهات أمه فضلًا عن الملكة (إيليني) كما يمتدحها النص نظرًا لدرايتها بأمور البلاد[3].

وهكذا سيطرت (إيليني) على اختيار من يتولى منصب الإمبراطور، على أنه ينبغي أن نذكر أن دورها لم يقتصر على ذلك فحسب، بل قامت بأدوار سياسية مهمة، يكفي أنها استطاعت تأجيل احتلال المسلمين للمملكة عدة سنوات عندما ازدادت قوتهم بتحالفهم مع الأتراك العثمانيين، لذا حاولت البحث عن حلفاء ليقوموا بحماية المملكة

---

1 - وبالقوة انتقلت الملكية إلى Amda-Seyon II ابن إسكندر وحكم (لمدة) ستة شهور ومات في سلام في 29 teqemt" انظر:

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od ,p. 356.

2- Perruchon: op,cit., p.363.

3 - وكان يباشر هذا الملك سلطانه متبعًا توجيهاتِ أمه الملكة ناعود موجاسا، ومشورة سيدة أخرى وهي الملكة إيليني وعرفت كلتا السيدتان نظامَ البلاط الملكي ولكن فاقت السيدة إيليني الأروب (الحكيمة) دراية ببواطنه لأنها حضرت ثلاثة ملوك حينما عاشت معسكر بلاطهم وحاز هؤلاء الملوك سورة نابهة (نزلوا منزلة عظيمة)؛ فمن ثم عرفت النظام القانوني للمملكة. انظر:

Manfred Kropp: Dis Geschichte Des Lebna-Dengel. P. 3.

ووجدت ضالتها عندما أرسلت رسالة مع (ماثينو الأرميني) إلى ملك البرتغال والبابا في روما[1].

وبوفاة (إيليني) - في إبريل عام 928هـ/1522م[2] - فقدت المملكة الحبشية السند والعقل المدبر لها، لدرجة أنه شاع في المملكة أن الحبشة بأكملها قد ماتت، "فقد كان يعيش الجميع تحت ظلالها إذ كانت فى مقام الأب والأم لهم جميعًا"[3].

6- دور المطران والكنيسة في الحكم:

من المعروف أن دخول الديانة النصرانية إلى الحبشة قد جاء على يد فرومنتيوس Frumentius[4]، والذي عينه البطريرك المصري أثناسيوس كأول مطران في الحبشة، وأطلق عليه اسم الأب سلامة[5]، وهو يعتبر بحق المؤسس الحقيقي للكنيسة الحبشية الأرثوذكسية. ويذكر هنا أنه ما إن دخلت المسيحية إلى الحبشة في القرن الرابع الميلادي[6]، حتى أصبحت الكنيسة الحبشية تابعة للكنيسة المصرية عقائديًّا[7] بل إن كيانها ارتبط بوجود المطران المصري[1].

1- Paul B. Henze: Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London , 2000, p. 75.

2 - في حين يرى البعض أنها ماتت عام 1520م، انظر

- Paul B. Henze: op. cit. p. 86.

3 - Alvarez: op. cit.p. 434.

4 - فرومنتيوس: هو تاجر مصري كان هو وأخوه يقومان برحلة في البحر الأحمر حين توقفت سفينتهم على أحد الشواطئ الإفريقية، ولكن الأهالي قضوا على ركابها وأسروا فرومنتيوس وأخاه أيديسيوس وأخذوهما إلى الملك الحبشي عيزانا الذي قربهم إليه، ثم سافر فرومنتيوس إلى مصر حيث قابل بطريرك الإسكندرية، وطلب منه تعيين أسقف يرعى هذه البلد، فعينه أسقفًا على الأحباش باسم الأب سلامة. انظر:

Budge: op. cit. pp.478.

5 - Richard Pankhurst: op. cit , p.70.

6 - Jones and Monroe: op. cit , p.51.

7 - جاء القرار الثاني والأربعون من قرارات مجمع نيقة المقدس عام 325م مؤيدًا ومؤكدًا لتبعية الكنيسة الحبشية للبطريركية المرقسية بالإسكندرية، فذكر أنه لا يجوز للأحباش

ومنذ ذلك الحين صار على المطران أن يقوم بتتويج الإمبراطور وذلك لإضفاء الشرعية على حكمه ولتجنب أطماع الثائرين في مناوئته في أحقيته بالعرش. وكان التتويج يتم في احتفال ديني بكنيسة أكسوم. وبعد إتمام عملية التتويج يهتف أفراد الشعب للإمبراطور الجديد[2].

ويذكر أن الكنيسة الحبشية لم يكن لها دور في دعم الأسرة الأجويين، لخلو منصب المطران لفترات طويلة استمرت أحيانًا لأكثر من ثمانين عامًا، كما اتجه الكثير من الكهنة لأعمال الزراعة[3]، الأمر الذي يفسر بطبيعة الحال سوء العلاقات بين الأباطرة والمطارنة في عهد هذه الأسرة[4].

وقد فطن يكونو أملاك لهذا الأمر وحاول تداركه، فتحالف مع رجال الدين وعلى رأسهم القديس تكلاهيمانوت ووعده بإعادة العلاقات الدينية مع الكنيسة المصرية، وبتحسين حالة الكنيسة لتتمكن من أداء رسالتها الروحية[5].

من هنا أصبح تتويج المطران للإمبراطور ضرورة من ضرورات الحكم[6]، حيث حرصت الأسرة السليمانية الجديدة على هذا التقليد

أن يعينوا أو يختاروا مطرانًا من قبلهم بل ينبغي أن يكون ذلك عن طريق بطريرك الإسكندرية وقد ظلت هكذا حتى عام 1950م، بينما ينفي البعض ويذكر أن قرارات هذا المجمع عشرون فقط. انظر حامد عمار، العلاقات بين مصر والدول الإفريقية في العصور الوسطى، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996م، ص 29، مراد كامل، العلاقات بين الكنيستين المصرية والإثيوبية، مجلة السياسة الدولية – العدد الثامن، السنة الثالثة، 1967، المجلد الثالث، ص 309، زاهر رياض، كنيسة الإسكندرية في إفريقيا، مطبعة الجيش، القاهرة، الطبعة الأولى، 1962، ص 88.

1 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.24.

2- G.W.B. Huntingford: op. cit ,PP.6-8.

3 - Roland Oliver: op. cit , p. 158.

4 -Sergew Hable Selassie: op, cit., p.34.

5 - أنتوني سوريال عبد السيد: المرجع السابق، ص 11.

6- كانت مراسم التتويج في عهد الأسرة السليمانية في كنيسة الملاك ميخائيل أو القديس جورجيس وتحت صورتهما، حيث يقوم المطران بوضع التاج على رأس الملك مما يكسبه

باعتباره ضمانًا لتأكيد أحقيتها في العرش اعتمادًا على أساس ديني قوي، علاوة على أن إضفاء الشرعية الدينية على الحكم يعد أمرًا من شأنه أن يبعد المنافسين والطامعين عن كرسي العرش[1]. وعلى ذلك فليس بمقدور هذا الإمبراطور أن يحكم أو يضمن طاعة شعبه إلا إذا توَّجه المطران[2]، ليس هذا فحسب بل كان الإمبراطور يحرص على اصطحاب المطران في رحلاته ومواكبه ومعسكراته المتنقلة وحروبه، خوفًا من وصول أحد المنافسين إليه وإجباره على تتويجه، وتأكيدًا أمام الشعب أن هذا الإمبراطور هو الوحيد الذي تؤيده الكنيسة، وأن المطران راضٍ بسياسته وقانع بحكمه[3]. وعلى ذلك صار المطران لديهم – على حد قول القلقشندي: "كالخليفة على دين النصرانية عندهم، يتصرف فيهم بالولاية والعزل، ولا تصح ولاية ملك منهم إلا بتوليته"[4].

ولعل من أبرز الدلائل على أهمية المطران وخطورة الدور الذي يلعبه أنه في حالة حدوث ثورة على أحد الأباطرة وخروج جيش المملكة لسحق هذه الثورة، كان الإمبراطور يصطحب المطران لضمان خضوع الأمراء له ولإلقاء الرعب والفتنة بين صفوف منافسيه[5]. وكان صدور

صفة القداسة، كما يكسب أيضًا خضوع الشعب له، وقد أكدت المصادر الحبشية أن زرء يعقوب هو أول من قام بعمل " شريعة التنصيب" وإن كان ذلك استكمالًا لما فعله آباؤه من قبل، ويقول الدكتور زاهر رياض إنه إذا جاء دور التاج رفعه المطران بنفسه بين يديه وهو يقول "ندعوك يا الله – يا من وضعنا فيك كل ثقتنا. أن تبارك هذا التاج وتبارك حامله الملك –فلان– كي يكون أهلًا لحمله". ثم يقترب من الملك ويضعه بيده على رأسه وهو يقول (ليجعل الله هذا التاج تاج قداسة ومجد). انظر: مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص 25، زاهر رياض، العصر الأول، ص 96-97.

1 -Jones and Monroe: op. cit , p.50.

2 - ولذلك كان الملك الحبشي في كل مرة يطلب فيها المطران كان لا بد وأن يسترضي بلاط القاهرة بالهدايا الرائعة انظر زاهر رياض، العصر الأول، ص90،

Jones and Monroe: op. cit , pp.50 – 51.

3 - Budge: op. cit. p.269.

4 – صبح الأعشى،جـ4، ص 308.

5 - Roland Oliver: op. cit , p. 157.

قرار من المطران بحرمان الثائر يعد أمرًا كافيًا لسحق الثورة والقضاء عليها[1]. فقد كان المطران يملك سلاحًا خطيرًا، وهو ما أطلق عليه سلاح الحرمان[2]. والذي بموجبه يحق للمطران عزل الإمبراطور (أو أي أحد) إذا حاول الخروج عن تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية المصرية أو أتى بما يضر بمصالح البلاد أو الشعب[3]. وبموجب نفس السلاح أيضًا لا يحق للشعب الخروج عن طاعة الإمبراطور إلا إذا أمر المطران بذلك. وعلى ذلك فإن مجمل القول أنه كان لرجال الكنيسة سلطة قوية في المملكة الحبشية مرجعها في الغالب هو وضعهم الرسمي في البلاط الإمبراطوري، وقد أجمل القلقشندي القول في المطارنة عندما قال عنهم: "فكانوا هم ملوكهم حقيقة"[4].

ورغم خطورة وأهمية الدور الذي لعبه رجال الكنيسة بصفة عامة والمطران بصفة خاصة، فإن التحالف الذي ربط بين الإمبراطور من جهة والبطارقة والقساوسة من جهة أخرى لم يكن ليخلو من بعض

---

1 - Budge: op. cit. p. 345.

2 - ينقسم سلاح الحرمان إلى قسمين: القسم الأول، هو توقيع عقوبة الحرمان (القطع – الشلح) بطريقة فردية شخصية، أي ضد فرد معين مقصود بالذات Excommunication وعندئذ يصبح هذا الشخص منبوذًا، ومطرودًا من المجتمع المسيحي Societies Christiana فلا يسمح لأحد بالاقتراب منه أو التعامل معه سوى زوجته وأولاده، أما القسم الثاني، فهو عقوبة الحرمان الجماعي التي توقع على مجتمع بأكمله سواء كان هذا المجتمع مدينة أو إقليمًا أو مملكة بأسرها، انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1991م، ص 12.

3 - المعروف أن عمدا صيون حكم البلاد لمدة ثلاثين عامًا (714-745هـ/1314-1344) قضى نصفها الأول في ملذاته حتى أنه لم يتورع عن معاشرة خليلات أبيه، ولم يتعفف عن اغتصاب أخته، مما أثار عليه سخط رجال الدين حيث اضطربت العلاقات بين الدولة والكنيسة، فهددوه بتوقيع عقوبة الحرمان عليه، عندئذ أفاق مما كان عليه وراعى مصالح الدولة. لمزيد من التفاصيل، انظر:

Paul B. Henze: op. cit , p.64 see also Budge: op. cit. p. 288.

4 - القلقشندي: المصدر السابق، جـ4، ص 309، ت. تامرات، المرجع السابق، ص 435، زاهر رياض، العصر الأول، ص93.

الآثار السلبية على الشعب، فقد ورث رجال الكنيسة بموجب هذا التحالف ثلث أراضي الدولة، ما جعل من الكنيسة تجسيدًا للإقطاع واغتصاب الأرض. وهكذا أصبح القساوسة ملاكًا للأرض باسم الكنيسة، فازداد القساوسة ثراءً في أرض شعب ازداد فقرًا[1]، وأصبحت الكنيسة تحمي مصالح شريحة صفوة المجتمع من رجال الدين، تلك الشريحة التي ربطت مصائرها بالعرش، كما ظلت لا مركزية شأنها في ذلك شأن المملكة الحبشية نفسها[2] أي أن مستقبل الحبشة السياسي والاقتصادي كان مرتكزًا على أساس الديانة النصرانية[3].

أما من جانب الكنيسة فقد أردات الكنيسة بذلك أن تكتسب من القوة ما يمَكِّنها من تحقيق نفوذها السياسي والاقتصادي، وراحت تبحث بكافة السبل المتاحة لديها ما يمكنها من تحقيق ذلك، فوجدت ضالتها في (يكونو أملاك) لتحقيق طموحاتها ليس أكثر، وقد رأينا كيف قام هذا الإمبراطور بمحاولة تنظيم الكنيسة ضمن نواحي الإصلاح الأخرى التي تعهدها بعنايته، وذلك بوصفه رائدًا أو زعيمًا للشعب المسيحي في الحبشة[4].

وبتنصيب الأحباش ورجال الدين (يكونو أملاك) إمبراطورًا كان يجب عليهم أن ينصاعوا له ويطيعوه جميعًا، ولكن هذا التنصيب والاعتراف لم تكتمل به الحقوق الشرعية للإمبراطور الحبشي لممارسة كافة حقوقه السياسية، فقد كان لا بد من موافقة المطران على هذا التنصيب، أي أن الإمبراطور كان في حاجة ماسة إلى تفويض شرعي من ذلك المطران لحكم البلاد التي تحت يده لكي يُكْسِبَ الأسرة الجديدة شرعيتها في الحكم، حتى ولو كان هذا اعترافًا شكليًّا يرضي عنه الناس،

---

1 - ت. تامرات: المرجع السابق، ص 440.

2 - Huntingford: op. cit., p.12.

3 - للمزيد حول هذا الموضوع انظر الجزء الثاني من هذا الكتاب.

4 - Harry Middleto: The church of Abyssinia, London,1928,pp. 49-51.

لذلك بادر (يكونو أملاك) بإرسال رسالتين أولاهما إلى بطريرك الإسكندرية (أثناسيوس الثالث) ليطلب مطرانًا جديدًا، إذ كان هذا المنصب خاليًا منذ وفاة الأنبا (يؤنس) عام648هـ/ 1250م، وذلك لكي يقوم بوظائفه الدينية وليقوم بتتويجه إمبراطورًا على الحبشة ليضفي على حكمه الشرعية الدينية ولإبعاد المنافسين والطامعين عن كرسي العرش[1].

ولم يكتف (يكونو أملاك) برسالته إلى بطريرك الإسكندرية، بل كان عليه أيضًا أن يسترضي بلاط القاهرة بخطاب آخر يستعطف فيه سلطان مصر على أن يسمح للبطريرك بإرسال مطران إلى الحبشة، وعلى ذلك أرسل خطابًا مع مبعوثين إلى السلطان (الظاهر بيبرس) (658-676هـ/1260-1277م) يستأذنه في أن يسمح للبطريرك بانتخاب مطران وتعيينه، وقد انتهج في هذا الخطاب لهجة أقل ما توصف به أنها ذليلة وذلك في سبيل نجاح مسعاه لإعطاء عرشه سندًا ما بعده سند[2].

يذكر أن (يكونو أملاك) لم يرسل الخطابين مباشرة إلى القاهرة، ولم يرسل – كما هي عادة ملوك الحبشة - الهدايا الرائعة إلى كل من البلاط السلطاني والبطريرك، بل اكتفى بإرسال الخطابين إلى الملك (المظفر شمس الدين يوسف بن رسول) (647-692هـ/ 1249-1294م) صاحب اليمن، الذي اكتفى بإرسال مضمون الرسالتين إلى مصر؛ بزعم أنه يتطلب الحصول أولًا على إذن من السلطان بيبرس قبل إرسال رسول (يكونو أملاك) إلى القاهرة، كما حجز مبعوثيه في اليمن واكتفى بوعده إرسال الهدايا في حالة وصول المطران[3]. وقد اتضح ذلك من خلال رد

1- Jones and Monroe : op,cit, pp. 49-50.

2 - سعيد عبد الفتاح عاشور: الظاهر بيبرس، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2001، ص29. كذلك:

- Harry Middleto: op, cit, p.51.

3- محمد عبد العال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (628-923هـ/1231-1517م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، 1980م، ص 356.

السلطان (بيبرس) على (يكونو أملاك) والذي يتضح منه تجاهل السلطان بيبرس الطلب. "فأما المطران فلم يحضر من جهة الملك أحد حتى نعرف الغرض المطلوب، وإنما كتاب المظفر صاحب اليمن"[1].

وعلى ذلك حاول (يكونو أملاك) الاتجاه إلى الإمبراطور البيزنطي (ميخائيل الثامن باليولوجاس)[2] (661-681هـ/ 1261-1282م) وأرسل إليه العديد من الهدايا والمتمثلة في بعض حيوانات الحبشة مثل الزراف وغيره[3]. وذلك نكاية في حكام مصر وإرهابًا للممالك الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي عامة، لكن حالة بيزنطة الداخلية لم تكن لتسمح لـ(ميخائيل) بدراسة مثل هذه الأمور في ذلك الوقت[4].

وهكذا بدأ القلق يتسرب إلى أعماق (يكونو أملاك) نظرًا لأن غياب المطران من الممكن أن يضيع عليه كل ما بذله ونجح فيه، وربما يأخذ

---

1 - القلقشندي: صبح الأعشى، ج8، ص 40.

2 - هو مؤسس سلالة آل باليولوجاس آخر الأسر التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية، ظهرت مواهب ميخائيل الفذة وطموحاته الكبيرة منذ عمر مبكر، تدرج في المناصب حتى حصل على لقب Megas Doux أي الدوق الأكبر. وفي يناير سنة 1260 نصب ميخائيل وليًا للعهد ثم أصبح إمبراطورًا، وقد دخل القسطنطينية في موكب عظيم واتجه إلى كنيسة آيا صوفيا حيث توج إمبراطورًا للقسطنطينية، فبدأ بترميم أحياء العاصمة المتهدمة فعادت إليها الحياة ونشطت التجارة. كما تعهد أسوار القسطنطينية بالإصلاح ليعيد إليها حصانتها وبنى أسطولًا جديدًا لحماية سواحل الإمبراطورية، كما عقد مع البابا جريجوري العاشر سنة 1274 اتفاقية اعترف بتبعية الكنيسة الأرثوذكسية للبابوية. وفي مقابل ذلك حصل على اعتراف البابا بأحقيته في حكم القسطنطينية، وأن يطلق يده في الشرق ولو كان على حساب الإمارات اللاتينية. إلا أن القلاقل الدينية التي سادت في أواخر عصره كانت السبب في ضعف إمبرطوريته. لمزيد انظر زبيدة محمد عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى، القاهرة، د.ت، ص 154.

3- Budge: op, cit, p. 285.

4 - عبد المجيد عابدين: المرجع السابق، ص ص 170-171، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار النهضة العربية،القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، 1405هـ / 1985م، ص103. انظر أيضًا:

- Budge: op, cit, p. 286.

البعض من رفض البطريرك تعيين مطران ذريعة لظهور رؤوس الفتنة وارتفاع أسهم الأسرة القديمة، لذا لجأ (يكونو أملاك) إلى مطران القدس ليتوسط له عند سلطان القاهرة، لكن هذه المحاولة فشلت أيضًا، وجاء الأمل له من بطريرك أنطاكية السرياني الذي بادر على الفور بإرسال مطران يدعى (ثيودوسيوس) انتقامًا من بطريرك الإسكندرية الذي سبق أن اعتدى على سلطته بتعيين مطران مصري في بيت المقدس عام 1235م[1].

على أية حال فإنه ما إن وصل المطران الجديد حتى أسرع (يكونو أملاك) يطلب منه تتويجه، وبذلك تحقق له ما أراد واكتملت بذلك الحقوق الشرعية لإمبراطور المملكة، إلا أن الأحباش وعلى رأسهم رجال الدين قابلوا هذا المطران بكثير من الامتعاض، وذلك لأنهم ألِفوا بطارقة الإسكندرية من جهة، ولعدم مراعاة هذا المطران للأمانة من جهة أخرى، لأنه اتجه إلى جمع الأموال لنفسه، الأمر الذي زاد من غضب الأحباش ووصل إلى حد الثورة على الإمبراطور، بل إن بعضهم أرسل خطابًا إلى (ثيودوسيوس الثاني) بطريرك الإسكندرية في محاولة منهم لاستصدار قرار بطريركي بحرمان الإمبراطور، لأنه خالف بنود الاتفاق معهم على إعادة العلاقات الدينية مع مصر كشرط من شروط نصرتهم له[2].

وهكذا بذل (يكونو أملاك) أقصى ما في استطاعته لمحاولة إضفاء الشرعية الدينية على حكمه من جهة، ولمحاولة إرضاء كبار رجال الدين من جهة أخرى، فما إن تم تتويجه حتى سارع بالتنازل عن ثلث أراضي الدولة للكنيسة حسب الاتفاق المبرم بينه وبين القديس (تكلاهيمانوت)، وهو الأمر الذي أدى إلى ازدياد هيبة الكنيسة وقوتها الاقتصادية بل

1- Elaine Murray Stone: op, cit, P.35.

2- Harry Middleto: op, cit, p.55.

وتطلعها إلى التدخل في بعض الشؤون السياسية للمحافظة على ما وصلت إليه من نفوذ[1].

ولكن اضمحلال إمبراطورية (يكونو أملاك) الجديدة حرم الكنيسة من حليف قوي، إذ تركها وحيدة في الميدان وسط مظاهر الفوضى الشاملة والأخطار التي بدأت تهددها،إذ لم يبد خلفاء (يكونو أملاك) نفس اهتمامه السابق برعاية رجال الكنيسة ومواردها، وهكذا لم يقتصر هذا التدهور على الكنيسة وحدها، بل امتد إلى بقية الجهاز الكنسي حتى اختلت أحوال الكنيسة بوجه عام في الفترة الواقعة بين أبناء (يجيبا صهيون) Yagbe'u Seyon (684-694هـ/1285 – 1294م) حتى نهاية حكم (ودم أرعد) Wedem Arad (699-714هـ/1299-1314م)[2].

لذلك بدأت الكنيسة تبحث لها عن حليف جديد يعيد لها مجدها ونفوذها في البلاد، فوجدت ضالتها في أحد أبناء (قدامه أسجد) Qedma Asg'ad (696-697هـ/ 1296-1297م) الذي يدعى (عمدا صهيون الأول - Amda Seyon I) (714-745هـ/1314-1344م)، وأعادت سيرتها الأولى معه كما فعلت مع جده (يكونو أملاك)، فراحت تدعمه وتنشر الدعاية السياسية السيئة ضد عمه (ودم أرعد)، حتى نجحت أخيرًا في توليته الحكم في حياة عمه[3].

ዓምደ፡ጽዮን፡ንብረ፡መስቀል።

ورغم نجاح الكنيسة في تنصيب من رأته مناسبًا لها - (عمدا صهيون الأول) - من الأباطرة لتحقيق نفوذها الاقتصادي والسياسي، إلا أنه سرعان ما بدأت الصراعات بين الإمبراطور الجديد وبين الرهبان

1-Christine Chaillot : The Ethiopian Orthodox Tewahedo Church Tradition,a brief introduction to its life and spirituality Published Paris , 2002, p.24.

2 - Harry Middleto: op, cit, pp.53-55.

3 -Perruchon: Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie, in Journal asiatique.ser.8, t.Xiv,1889,pp.271-272.

في بداية حكمه. إذ تشير المصادر الحبشية إلى تعمد (عمدا صهيون) إقصاء العديد من الرهبان عن مناصبهم ونفيهم إلى نواح شتى في المملكة[1]، وذلك بسبب علاقته غير الشرعية مع زوجة عمه[2] التي تدعى (زان مونجسا) Zan Mangasa، بل صارت الأمور أشد تعقيدًا حينما

ሃሎሙ ፡ ትክል ፡ ወሶሎ ፡ ይትከሠለከ ። ወይእዜኒ ፡ ፈሣዕ ፡ እግዚኦ ፡
ጸሎታ ፡ ለእመትከ ፡ ወኢትትሀየየኒ ፡ ፈአውያት ፡ ልብየ ። ወለእ
መሰ ፡ በዝንጉ ፡ ንጠኢትየ ፡ ይፅበይ ፡ ወይትለዓል ፡ ምሕረትከ ፡
በምሕረትከ ፡ ተዓደዋ

انتشرت الشائعات بأنه ارتكب جريمة الزنا مع أخته، بل مع الشقيقتين الأخريين له[3]. ولم يغفل النص الحبشي مثل هذه الاتهامات عن الإمبراطور وعشيقته حتى في أواخر أيامه، فنجد أن (زان مونجسا) تتضرع إلى ربها وتدعوه قائلة: "ربي لا تغلق على أبواب رحمتك بسبب خطاياي"[4].

على أن هذا الوضع لم يكن ليسكت عنه المخلصون من رجال الدين، لذا أصدر المطران (مادهينا إيجازي) Madhanina Egzi'e قرارًا بالحرمان ضد الإمبراطور. كما تأهب أربعة من رجال الدين للتصدي

1 - Manfred Kropp: op., cit., p. XV.

2- يشير البعض إلى أنها زوجه أبيه على أساس أنه ابن للملك السابق (ودم أرعد)، إلا أن (عمدا صهيون) ذكر أنه ابن (قدامه أسجد) Qedma Asg'ad ويبدو أن هذا الادعاء كان المقصود منه أن يدفع عن نفسه عار العلاقة غير الشرعية بهذه العاشقة، زوجة (ودم أرعد) انظر:

- Manfred Kropp: op., cit., PP.5-6.

3 -Huntingford G.W.B.: The Glorious Victories of Amda Tseyon, King of Ethiopia, Clarendon Press,Oxford, 1965, P. 5.

4- Manfred Kropp: op., cit., p.8, 39 see also Perruchon, Histoire des guerres d'Amda Seyon, pp. 445-446.

لهذه الأفعال وهم الأب (أندروس) Anorewos رئيس دير دبر ليبانوس والأتشجي (فيلوبوس) Filpos والأب (باسيكال ميكلا) Basalota Mika'el رئيس دير دبرا Daret فضلًا عن الأب (جورج)، ما أثار غضب (عمدا صهيون) فأمر بجلد هؤلاء علنًا أمام الناس لمدة يومين متتالين حتى سالت دماؤهم، وفي اليوم الثالث اندلع حريق هائل في البلاد وصل إلى خيمة الإمبراطور وأدى إلى موت عدد كبير من السكان والحيوانات[1]، ما جعل (عمدا صهيون الأول) يعدل عن قراره وينقلب من النقيض إلى النقيض. فراح يساند الكنيسة ويقف بجانبها، لدرجة أنه بعث برسالة شديدة اللهجة إلى السلطان (الناصر ناصر الدين محمد) (709-741هـ/1309-1341م)[2]: بسبب اضطهاده المسيحيين في مصر، يبلغه فيها أنه سيقوم باضطهاد مماثل لمسلمي الحبشة، بل وحرمان مصر من مياه النيل بتحويل مجراه إلى الصحراء[3].

وهكذا اكتسبت الكنيسة إمبراطورا جديدًا يسعى لتقوية نفوذها واسترضئها بكافة الطرق، إذ بدأ (عمدا صيون الأول) بالاهتمام بأمور الدين، فأكثر من بناء الكنائس والأديرة، فضلًا عن تشجيعه لحركة الترجمة الدينية، حتى عرف عصره بعصر ازدهار الحياة الكنسية في الحبشة وتقديم الأعمال الفكرية والعالمية للكنيسة، ما يعد دليلًا

1 - Perruchon: Histoire des guerres d'Amda Seyon, p.272.

2- الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون: تاسع سلاطين الدولة المملوكية البحرية. لقب بأبي المعالي وأبي الفتح. جلس على تخت السلطنة ثلاث مرات، من 693 هـ 1293 / إلى 694 هـ1294/ ، ومن 698 هـ 1299 / إلى 708 هـ 1309 / ومن 709 هـ / 1309 وحتى وفاته في عام 741 هـ / 1341. من أبرز سلاطين الأسرة القلاوونية والدولة المملوكية. خاض حروبًا ضد الصليبيين والمغول، وحروبًا إصلاحية في الداخل ضد الفساد. شهدت مصر في فترة حكمه الثالثة نهضة حضارية وعمرانية لم تشهدها في عهد أي سلطان آخر من سلاطين الدولة المملوكية.انظر سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1976م، ص 36-44.

3 - Budge: op, cit, p.289.

واضحًا على ازدهار الثقافة آنذاك لما انطوت عليه من ثراء فكري[1]. كما تروي المصادر الحبشية عن قيام حركة قوية لنشر الإنجيل في العديد من الأقاليم النائية في المملكة الحبشية، الأمر الذي أدى إلى تأسيس كنائس وأديرة جديدة في الأقاليم الإسلامية والوثنية[2].

وقد أدى هذا الازدهار الديني إلى تدخل رجال الدين في شؤون الحكم، بل التحكم في مصير الإمبراطور القائم على العرش، إذ تشير كتب سير حياة القديسين الأحباش في عصر الإمبراطور (داود) (784-814هـ/ 1382-1411م) إلى الدور الذي لعبه رجال الدين في هذه الفترة[3]. ففي حياة القديس (ماري) St.Mary استقر رأي كثير من رجال الدين في المقاطعات المختلفة على وجوب تنازل الإمبراطور (داود) عن الحكم لابنه، بل إنهم أرسلوا للإمبراطور بهذا القرار، فما كان من الأخير إلا أن استنجد بـ(العقابي ساعات)[4] الذي يدعى (سيجاقا) Saraqa واستقر الرأي على طلب تدخل القديس (ماري) الذي أقام الصلاة من أجل (داود) ووعده بالاحتفاظ بالعرش طيلة حياته، ما يعد انتصارًا حقيقيًّا للكنيسة ويبرز دورها في عطفها على (داود) وإبقائه على

1- Manfred Kropp: op., cit., p. XVI.

2- Manfred Kropp: op., cit., p. XV.

3 -Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History, in Rural Africana,1970, p.105

[4] - عقابي سعات (ساعات): أي حارس الساعة أو القيم على الأوقات، وهو أهم رجال الدين وأكثرهم قدرًا، وهو أحد أرفع المناصب في الكنيسة الحبشية، حيث يلي الأتشجي في الأهمية، فقد كان هو المسؤول عن ترتيبات القصر والأمور الخاصة بالملك، وهو مقيم بصفة دائمة في معسكر الملك للتصرف فيما يجد من الأمور الدينية، فكان له من القوة والتأثير الكثير الذي يتناسب مع منصبه. وقد سمح له بالاقتراب غير المحدود من الملك في عصر زرء يعقوب. ويرى بعض الباحثين أنه كان مسؤولًا عن مراقبة المواقيت الخاصة بجدول أعمال الملك. ورغم علو مكانته في عصر زرء يعقوب، إلا أنه أصبح موظفًا من الدرجة الثانية في عصر لبنا دنجل (1508-1540م). انظر

Perruchon 167-168. : op , cit , p.

العرش[1]. وعلى ذلك فقد سلك دواد طريق سلفه (عمدا صهيون)؛ إذ بذل أقصى ما في استطاعته لإرضاء الكنيسة، فقام بإحضار قطعة من الصليب المقدس من بيت المقدس إلى الحبشة، فأقيمت الاحتفالات الكبيرة في البلاد، كما قام بتحسين العلاقات مع مصر، وأرسل 22 جملًا محملين بالهدايا إلى السلطان (برقوق) في مصر، فضلًا عن أنه نفذ وعده لرجال الكنيسة بتقديم المساعدات المالية لرجال الدين الأحباش المقيمين في أحد الأديرة بالقدس[2].

وهكذا أيقن أباطرة هذه الفترة مدى قوة الكنيسة وسطوتها، فحرصوا دائمًا على إرضائها عن طريق إغداق التبراعات والهدايا عليها بكل ما هو ثمين، بل إننا نجد أن الإمبراطور (تيودورس الأول Tewodros I) (814-817هـ/1411-1414م) أقدم على عمل كبير لم يفعله أحد من أسلافه جميعًا. فقد قام بإلغاء الاتفاق الذي عقد بين (يكونو أملاك) و(تكلاهيمانوت) والخاص بتنازل الدولة عن ثلث أراضيها للكنيسة، و أبدله بأن حدد في كل مقاطعة بعض الأراضي التي تكون ملكًا خالصًا لها، بحيث كانت مساحة هذه الأراضي مجتمعه تفوق ثلث أراضي الدولة[3].

وهكذا أخذت الكنيسة الحبشية تحصل – بصفتها راعية الديانة الرسمية للدولة - على امتيازات خاصة من الحكومة. وأهم هذه الامتيازات حق الحصول على الهبات والإعفاء من الضرائب فضلًا عن

---

1 - وعلى الرغم من ذلك فلم يسلم بعض رجال الكنيسة من بطش الملوك في بعض الأحيان، ومن ذلك الأب (ساندو) Abba Sinoda الذي تنبأ بنهاية سريعة لحكم الملك (حزبا نان) Hezba Nan (833-835هـ/1430-1433م) ومجيء عصر (زرء يعقوب)، مما جر عليه غضب الملك، إذ أمر بجلده ونفيه إلى جزيرة داق Daq كما أمر جنوده بقطع يديه وقدمه. انظر:

- Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, pp.282-283.

2 - Budge: op, cit, p.300.

3 - Manfred Kropp: op., cit., p11.see also, Budge: op, cit, pp.300-301.

قيام بعض الرهبان بالفصل في المنازعات التي تنشأ بين المسيحيين. ولم يلبث أن ازداد نفوذ الرهبان تدريجيًّا في المقاطعات المختلفة بفضل مكانتهم الدينية من جهة، وما جمعوه من صدقات وهبات من جهة أخرى. فأخذت ثروة الكنيسة فى الازدياد، حتى امتلكت الأراضي والضياع الواسعة التي قام العبيد بفلاحتها، هذا فضلًا عن الهبات التي أغدقها عليها الأباطرة بسخاء من جهة، والتبرعات التي قدمها الأهالي عن طيب خاطر من جهة أخرى[1].

على أن انتصار رجال الدين استلزم معه قيام تنظيم جديد للعلاقة بين الكنيسة من جهة والدولة والمجتمع من جهة أخرى. ذلك أن الكنيسة أخذت تكسب شيئًا فشئيًا صفة سلطة جديدة منافسة لسلطة الإمبراطور. وهنا نلاحظ أن تدخل الكنيسة في ذلك العصر في الشؤون السياسة أخذ يستفحل بازدياد ضعف المملكة الحبشية واضمحلالها، حتى انتهى الأمر بأن تدخلت الكنيسة في وضع الشروط الواجب توافرها في تحديد خليفة الإمبراطور، إذ فضل كبار رجال الدين في البلاط وضع شروط تتفق مع وجهة نظرهم في أمن المملكة من الجيران المسلمين والوثنيين، ومدى اهتمام الإمبراطور القادم بهم. كما سعت أيضًا خلال سنوات الفوضى التي تعقب موت الإمبراطور للتحرر من سلطان الدولة، ليكون لها كيان خاص مستقل، إلا أن الفصل بين الكنيسة والدولة في المجتمع الحبشي بدا أمرًا غير واقعي في ظل النظام الإقطاعي الذي سنوضحه فى الجزء الثاني من هذا الكتاب[2].

7- عودة العاصمة الثابتة على يد (زرء يعقوب):

عاشت المملكة الحبشية لفترات طويلة من تاريخها دون وجود عاصمة سياسية ثابتة، وإن كانت قد اتخذت من أكسوم عاصمة دينية

1 - Harry Middleto: op, cit, p.63.

2 -Ibid. pp. 63-64.

لها، حيث ذهب معظم ملوكها هناك لإجراء مراسيم التتويج، وإقامة مراسم التنصيب[1].

ورغم استقرار البلاد بدون عاصمة سياسية لها، إلا أن هذا الوضع قد تغير منذ تولي (يكونو أملاك) أول ملوك الأسرة السليمانية الحكم، إذ اتخذ من مسقط رأسه مدينة تجولات **Tegulet** بمنطقة أمهرة عاصمة سياسية للبلاد، وبالتالي تحول مركز الدولة من لاستا إلى شوا في الجنوب، إلا أنها كانت عاصمة اسمية فقط لم تقم بدورها المعروف في إدارة شؤون حكم البلاد واستقرار الملوك فيها، إذ اقتضت حياة الحروب المستمرة لأباطرة السليمانيين ومحاولة السيطرة على ربوع المملكة المختلفة، وخروج هؤلاء الأباطرة باستمرار في جولات تفتيشية لمراقبة تنفيذ تعليماتهم في إقاليم الدولة المختلفة، وليؤكد كل إمبراطور سلطانه ويعاقب كل من يحاول الخروج عن طاعته، وقد عرف ذلك بالقصر الإمبراطوري المتحرك، بمعنى عدم استمرار الإمبراطور في مكان ثابت، مستخدمًا في ذلك خيامًا كثيرة له ولبلاطه، إذ عُدَّتْ هذه الخيام بمكانة العاصمة للملكة[2]. وكان يتجمع السكان من جميع الأعراق في حشود كبيرة حول خيمة الإمبراطور لرفع شكاواهم للإمبراطور، وهو بذلك يجمع التنوع اللغوي والعرقي بين سكان المملكة[3].

1- كانت أكسوم قديمًا هي عاصمة البلاد السياسية والدينية، إذ كان يقيم فيها الإمبراطور في قصره المتعدد الطوابق وتحيط به حاشيته من النبلاء وكبار رجال الدين، و فيها يمارس سلطاته، فقد كان ذلك القصر مقرًا للحكومة المركزية التي تضم معاوني الملك للقيام بالمهام المختلفة في إدارة شؤون المملكة. للمزيد انظر:

-Stuart Munro-Hay: Aksum, an African civilisation of late antiquity, Edinburgh University Press, 1991. p. 35.

2 - محمد علي بهنساوي: المرجع السابق، ص 138-145. انظر أيضًا:

- Trimingham:op, cit, pp.69-70 see also Taddesse Tamrat, op,cit.,pp.269-275.

3 - Richard Pankhurst: An Introduction to the Economic History of Ethiopia from Early time to 1800, Sidgwick and Jackson LTD., First Edition, London, England , 1961, p. 137.

وقد أدت طبيعة الحبشة الجبلية إلى عدم قيام دولة متحدة ذات حكومة مركزية، فالجبال والقمم العالية كانت بمكانة حواجز تحول دون امتداد سلطة الحكومة المركزية إلى أطراف المملكة، الأمر الذى ساعد على استقلال سكان كل جزء بأنفسهم، لذا عانت الحبشة طويلًا من الانقسام بين عدة حكومات مختلفة، ما أدى إلى العزلة والتفرقة ومحاولات استقلال بعض حكام المقاطعات، ما ترتب عليه عدم استقرار الأمن، ويستمر الوضع على هذا النحو حتى تقوم حكومة مركزية قوية يمكنها إخضاع هذه الدويلات لسلطتها، لكن هذا الإخضاع يظل مرهونًا باستمرار قوة الحكومة المركزية[1].

وعلى هذا النحو أراد (زرء يعقوب) الوصول إلى هذه المركزية وذلك عن طريق إحكام القبض على السلطة، فبعد توليه العرش بفترة طويلة وفي عام 860هـ/ 1456م أعلن على الشعب الحبشي قراره بنقل عاصمة المملكة من تجولات إلى مكان أكثر مناسبة. وكان أمام (زرء يعقوب) العديد من المدن التي كان من الممكن اختيار إحداها لتكون عاصمة للبلاد. فكان في استطاعته مثلًا أن يسير على خطى سلفه (يكونو أملاك) ويجعل من مسقط رأسه مدينة تجولات **Tegulet** بمنطقة أمهرة في مقاطعة فطجار مقره لحكم المملكة، أو أن يختار دبري أباي وهي التي تلقي فيها تعاليمه الدينية الأولى ومكان وجود أخواله هناك، أو أن يعود إلى أكسوم وهي العاصمة السياسية والدينية العريقة لملوك الحبشة القدماء، التى تحظى بمكانة متميزة دينية في البلاد وهي أيضًا مهد الحضارة الحبشية القديمة، ولكن (زرء يعقوب) فضل أن يقطع صلته بالماضي تمامًا، فترك كل المدن الشهيرة وفاجأ الناس باختياره (دبر برهان) لتكون عاصمة سياسية للبلاد. وتقع هذه المدينة قرب نهر الأواش على الساحل الصومالي، بالقرب من مستوطنة خصبة وبها ماء وفير، وقد أشارت المصادر الحبشية بأن سبب اختياره هذا كان دينيًّا في

1- زاهر رياض: تاريخ إثيوبيا، ص22، سيد أحمد العقيد، إثيوبيا ومشروع التكامل بيد دول حوض النيل، جامعة النيلين، السودان، 2005م، ص11. انظر أيضًا:

- Ernest. W. Luther: op , cit, p. 2. see also Alvarez, op , cit, p. 54

المقام الأول إذ ظهر في ذلك المكان نور غامض قيل إنه شوهد في السماء لعدة أيام متصلة، وادَّعت تلك المصادر أيضًا ظهور السيد المسيح في ذلك المكان لذلك أطلق على هذا الموقع اسم "جبل النور"[1]. ومن ثم بدأ على الفور في بناء مقرٍّ جديدٍ لحكمه، حتى أنه أمر كلًّا من (الراق مساروتش) (مديري المراسم الملكية) اليمين واليسار وكذلك (الجان مساريه) (حاجب الملك) ألا يرتدوا قمصانهم حتى يتم بناء ذلك القصر[2].

وقبل أن يبدأ في بناء قصره الملكي[3] في هذا المكان المبارك الذي نزل فيه السيد المسيح ثلاث مرات ليضيئه نورًا[4]، أمر عام 861هـ/1457م ببناء كنيسة كبيرة لربه يسوع، كما رأى في بنائها ضرورة لجعل المدينة عاصمة للبلاد، ومن ثم بنى تلك الكنيسة وأطلق عليها "كنيسة دبر برهان"[5].

---

1 - David Mathew: Ethiopians, The Study of polity 1540-1934, London Eyer , Spttiswoode, 1940, pp.62-64.

2 - " وأمر البنائين... وألا يرتدي الراق مساروتش اليمين واليسار قمصانهم حتى يتم بناء القصر، وكذلك الجان مساريه مثلهم لا يرتدون (قمصانهم)، بل يقيمون القصر". انظر:
- Perruchon: op, cit ,p.24.

3 - عن مواصفات ذلك القصر فقد كان يتكون من حوائط من الأعمدة، ولكل حائط منها عشرة أعمدة، وأن يكون ارتفاعه طويل ويكون ذا لون أبيض، ويحيط به سور عالٍ قيل إن ارتفاعه عشرون ذراعًا، وقال البعض الآخر إنه خمسة عشر ذراعًا، كما صنعوا له سورًا آخر يربط ويصل بين قصر الملك وباب كنيسة دبر برهان، أما عن محتويات ذلك القصر فكان يحتوي علي مجموعة من الخيام الداخلية الملكية المنتشرة عبر أجزاء البلاط، لكل منها وظيفة محددة لا تخرج عنها، وقد قام العديد من الباحثين بشرح أهمية هذه الخيام ووظائفها. انظر:
- Richard Pankhurst: A Story in Stones Portugal,s influence on culture and Architecture in the High land of Ethiopia, p36.

4-"ونزل النور مرة ثانية، وثالثة، أثناء القربان، وأثناء الليل بينما كان المنشدون يعزفون (يتعبدون). وقد شاهد هؤلاء المنشدون النور، والملك يقول: أنا أيضًا شاهدت هذا النور علانية وهو يهبط على تلك الكنيسة". انظر
- Perruchon: op, cit , p.72.

5 - "ولهذا السبب خطط ملكنا زرء يعقوب وبني كنيسة بيت كيركوس إلى اليمين من دبر برهان". انظر::

ويشير بعض الرحالة إلى أن (زرء يعقوب) لم يكتف ببناء كنيسة وقصر دبر برهان فقط لإقامته وجعله مركز للحكومة[1]، وإنما وضع قائمة لتعمير المدينة بأكملها، فقد شملت قائمة التعمير هذه بالإضافة إلى كل من القصر والكنيسة، بناء ساحة كبرى واسعة كمركز تجاري واجتماعي وثقافي وكافة المرافق الإدارية للحكومة المركزية للبلاد، كما أوصى أيضًا ببناء منازل لاستقبال رجال البلاط والسفراء الأجانب وكبار الموظفين وقادة الجيش، وقد أشرف (زرء يعقوب) بنفسه على هذا التخطيط العمراني الجديد للمدينة[2].

والملاحظ أن (زرء يعقوب) لم يقطع صلته نهائيًا بالمعسكر الملكي المتنقل بين أرجاء المقاطعات المختلفة لتفقد أحوال البلاد، فهناك إشارات كثيرة لمؤرخ البلاط يوضح فيها قيام الملك بزيارات تفتيشية خاطفة يطمئن فيها على أحوال المملكة، إلا أنه كان سرعان ما يعود إلى قصره في دبر برهان ليدير شؤون الحكم وليقوم بتأليف كتبه الدينية[3].

وهكذا نشأت عاصمة سياسية ثابتة للمملكة السليمانية في دبر برهان على يد (زرء يعقوب) إلا أنه يمكن القول إنها انتهت بموته، فبمجرد اعتلاء ابنه وخليفته (بئيد ماريام) سدة الحكم، راح مثل من سبقوه من أجداده وأسلافه ينتقل بمعسكره الملكي من بلد إلى آخر لمراقبة أحوال البلاد، تاركًا عاصمة أبيه وقصره ومركز حكمه، وهذه السمة لم تواكب عصر (بئيد ماريام) فقط، بل لازمت معظم من خلفوه ممن جاءوا بعده، فيؤكد الباحثون على أنه رغم إقامة دبر برهان

- Perruchon: op, cit ,pp.73-74.see also Richard Pankhurst, The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967, p. 38.

1 - "وبينما كان ملكنا (زرء يعقوب) في دبر برهان قوى كل نظام حكمه". انظر:
- Perruchon: op.,cit., p.73.

2 - Richard Pankhurst: History of Ethiopian Towns, p. 39.

3 -"وظل لمدة عامين ينتقل من أرض فرجو، ويعود إلى دبر برهان، وإلى دبر مطمق، وإلى أماكن أخرى بالقرب منها، وهكذا ظل يذهب ويعود سريعًا". انظر:
- Perruchon: op.,cit., p.79.

كعاصمة سياسية ثبتت فيها مركزية الحكم في عصر (زرء يعقوب)، إلا أن ذلك لم يفض إلى استخدام هذه العاصمة من بعده، بل تلته حكومات ضعيفة قضى الأباطرة فيها مدة قرنين من الزمان أو ما يزيد معظم أوقاتهم في الترحال، ما أدى إلى وجود العديد من الاضطرابات في إدارة شؤون الحكم، والحروب المتصلة، والتمردات الداخلية والخارجية، لذا فقد كانت حياتهم أشبه بحياة البدو القاطنين في خيام، أو أكواخ خشبية حتى يمكن نقلها معهم دون مجهود[1].

1 -W. Conzelman: chronique de Galawdewos roi d Ethiopie,texte ethiopian, Libraire Emile Bowllon,Paris,1895,p.62, see also Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, p. 277.